▪ مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

العدد ٤٣٧ - السنة السابعة والثلاثون - جمادى الأول ١٤٢٩ هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً

الموالد بدعة فاطمية

▪ جهاد وتضحيات على طريق الدعوة

▪ زكاة الحلي

▪ قصة الخمس عشرة عقوبة التي تصيب تارك الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد
إسلامية تم ثقافية تم شهرية
السنة السابعة والثلاثون
العدد ٤٣٧ جمادى الأولى ١٤٢٩

رئيس مجلس الإدارة
د. جمال المراكبي

المشرف العام
د. عبدالله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية
د. عبدالعظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبدالرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧- فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦- ٢٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

هل عرفت السّر؟

يتساءل كثير من الكُتّاب والمحللين عن سبب تعاسة أحوال قطاعات عريضة من المجتمع، رجالاً ونساءً، شبابًا وشيوخًا، وعن سبب خراب الذمم وسوء الأخلاق، وعبادة المادة والمال، والأنانية المتفشية، والغش الذي بلغ إلى حد ذبح الحمير المريضة والميتة وهرسها لتكون طعامًا للآدميين وليس لأسود حديقة الحيوان التي تعرف الميتة ولا تأكلها.

وقد بلغ اليأس بهؤلاء المتسائلين إلى حد أنهم لا يعرفون ما السبب وما العلاج ؟

والسبب ببساطة- وإن كان لا يروق لكثير من المثقفين- أن أهل الانحراف جميعًا بدلاً من أن يجعلوا التوحيد والعبودية لخالقهم ورازقهم الذي يرزق من يشاء بغير حساب ؛ جعلوا العبودية للمال والمادة والدرهم والدينار، والقطيفة (المظهر)، فدعا عليهم رسول الله ﷺ بالنكسة والتعاسة، وعدم العافية مما يصيبهم من أوجاع، فقال عليه الصلاة والسلام: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» أي: لم يبرأ من مصابه ولو كان شوكة.

ولأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فستظل النكسة والتعاسة ملازمة لأهل الانحراف عن سبيل الله، وسيبقى الضيق والضنك والحربُ معلنة من الله ورسوله على دوائر الربا الذي أورث الفقر وخرّب البيوت، وضاعف الديون، وسيظل عبيد المادة والمال على تعاستهم التي أنذرهم بها النبي ﷺ، عندها يكونون هم القائلين بلسان حالهم: «يا رب اتعسنا!!».

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مفاجأة كبرى
لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٦مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٦سنة كاملة

التوحيد
الموالد بدعة فاطمية

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: أثر الإيمان بالقدر في سلوك المؤمنين
بقلم الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: بقلم رئيس التحرير ٦
باب التفسير: تفسيرسورة الفجر: د/ عبدالعظيم بدوي ١٠
باب السنة: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
زكريا حسيني محمد ١٤
أخطار تهدد البيوت: شوقي عبدالصادق ١٨
درر البحار ٢١
الشيعة الرافضة تاريخ وحقائق: د/ عبدالله شاكر ٢٣
مختارات من علوم القرآن: مصطفى البصراتي ٢٧
القصة في كتاب الله: عبدالرازق السيد عيد ٣١
السلام تحية الإسلام: سعيد عامر ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
جهاد وتضحيات على طريق الدعوة: معاوية محمد هيكل ٣٧
تفاحة القلب وريحانة العين: عبده الأقرع ٤٢
دراسات إسلامية: متولي البراجيلي ٤٤
باب الأسرة: جمال عبدالرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: على حشيش ٥٣
باب الفتاوى ٥٧-٦٠
حدث في مثل هذا الشهر ٦١
موقف اليهود والرافضة من مخالفيهم: أسامة سليمان ٦٣
الحياء: د/ محمد عبالعليم الدسوقي ٦٥
باب التراجم: فتحي أمين عثمان ٦٨
ستر عورات المسلمين:صلاح نجيب الدق ٧٠

م دار الجمهورية للصحافة

ثمن النسخة

مصر ١٥٠قرشا ، السعودية ٦ريالات ، الإمارات ٦دراهم ، الكويت ٥٠٠فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠فلس ، قطر ٦ريالات ، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢دولار ، أوروبا ٢يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠دولارا أو ٧٥ريالا سعوديا أو ما يعادل لهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي -فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة :
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير :
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات :
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت :
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام :
WWW.ELSONNA.COM

٦٦٠جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
٢٢٠دولارلمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

الافتتاحية

أثر الإيمان بالقدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد تكلمنا في لقاء سابق عن الإيمان بالقدر باعتباره من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن عمله لا يُقبل حتى يؤمن بالقدر، وإذا علمنا أن الإيمان قول وعمل، فإن للإيمان تأثيراً واضحاً على سلوك المؤمن وأخلاقه ومعاملاته، وللإيمان بالقدر خاصة أبلغ الأثر في هذا السلوك وهذه الأخلاق والمعاملات، فالمؤمن قريب من ربه عز وجل، يستشعر مراقبته سبحانه ويسعى في مرضاته في القول والعمل، والسر والعلن.

والإيمان بالقدر يملأ القلب رضاً بالله عز وجل وبدينه وبرسوله ﷺ، ورضًا عن الله عز وجل في قضائه وابتلائه، فيتذوق حلاوة الإيمان ولا يرضى به بدلاً، كما قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً» [مسلم ك الإيمان].

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» [متفق عليه].

ويتجلى تأثير الإيمان بالقدر في سلوك المؤمن في نواح شتى؛ أولها: إتقان العمل وحسن التوكل على الله عز وجل، فالمؤمن كما قلنا حريص على ما ينفع به نفسه، وينفع به غيره في الدنيا والآخرة، حريص على دعوة الناس وهدايتهم إلى خيري الدنيا والآخرة، صابر على ما يناله من الأذى في سبيل مرضاة الله عز وجل، محتسب أجره على الله، مستعين بالله، غير عاجز ولا متوان ولا متواكل، وهذا هو المؤمن القوى حقاً كما قال رسول الله ﷺ «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم].

وهو مع شدة حرصه على الأشياء النافعة في الدنيا والآخرة كالعلم النافع والعمل الصالح والسعي إلى تحقيق الريادة والتقدم في كل مناحي الحياة، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يأكل من الحلال الطيب ويأنف من كل حرام وخبيث، الغاية عنده لا تبرر الوسيلة فغايته كريمة، ووسائله لتحقيق غاياته شريفة، عفيف القلب، عفيف اللسان، لا يجهر بالسوء، ولا يعمل الفواحش، وهو مع هذا كله راض بما قسمه الله عز وجل له، وبما قدره الله عز وجل عليه، يصبر على البلاء ويشكر النعماء، كما قال نبينا ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له» [رواه مسلم].

لا يندم ولا يتحسر على ما فاته من رزق في الدنيا ولا يفرح ولا يتفاخر بما أعطاه الله عز وجل، ولا يقول مقالة الكافر بأنعم الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾، وإنما يقول: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

في سلوك المؤمنين

د. جمال المراكبي

بقلم/ الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

وهو في هذا كله معتمد على الله تعالى، يأخذ بالأسباب ويتعلق قلبه بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى، ينازع أقدار الله بأقدار الله عز وجل، ويفر من قدر إلى قدر كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دخل الشام فبلغه أن الطاعون قد استشرى بأرضها، فأراد أن يرجع، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أتفر من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها!! أفر من قدر الله إلى قدر الله. ويعلم أن الدعاء يرد القضاء، فيلجأ إلى الله عز وجل يسأله التوفيق والثبات والهداية والرشاد ودفع الضر والبلاء.

ثانيا: السلوك المستقيم مع الآخرين

إذا أيقن العبد أن النفع والضر بيد الله عز وجل، وأن الخلق ليس لهم من الأمر شيء تعلق قلبه بالله، وحرص على مرضاته، لا على مرضاة الناس فيتخلى عن الأساليب السيئة في تعامله مع الناس، فلا يكذب ولا ينافق، ولا يداهن ليصل إلى غرض دنيوي وهذا يورثه الصدق والاستقامة على أمر الله عز وجل.

وإذا علم العبد أن أجله بيد الله عز وجل، وأن أقصى ما يناله منه عدوه وهو القتل إنما هو بتقدير الله عز وجل لا بيد أحد من الخلق أورثه ذلك شجاعة في مواجهة عدوه، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وإذا علم العبد كذلك أن ما يقع من الناس في حقه من تقصير أو إساءة إنما هو بتقدير من الله عز وجل أورثه ذلك رغبة في العفو عمن ظلمه أو أساء إليه أو قصر في حقه، ويتجلى هذا في سلوك النبي ﷺ حيث كان يصبر على الأذى ويدفع بالتي هي أحسن فكان لا ينتقم لنفسه قط، فإذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله عز وجل.

وكثيراً ما قال النبي ﷺ عند تعرضه للأذى: «يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر».

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ وكان بعض أهله إذا لامني يقول ﷺ: «دعوه فلو قضي شيء لكان».

ثالثا: الجمع بين الخوف والرجاء

المؤمن بالقدر يعبد ربه خوفاً وطمعاً، لأنه يعلم يقيناً أن العبرة بالخواتيم، وأن السعيد من عباد الله عز وجل من هيأ الله له أسباب السعادة، وكتبه من السعداء، وأن الشقي من شقي في بطن أمه، وأن العبد قد يعمل بعمل أهل الجنة فيما يرى الناس ثم يختم له بعمل يؤدي إلى النار فيخاف من سوء الخاتمة، وقد يعمل بعمل أهل النار ثم يتوب الله عليه فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، فيطمع في عفو ربه وفي جنته.

وقد كان النبي ﷺ وهو سيد ولد آدم وكذلك كان أنبياء الله ورسله يجمعون بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء٨٩- ٩٠].

وكان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» [رواه النسائي]. فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». [مسلم ك القدر].

هذا وقد ترجم البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه باب الرجاء مع الخوف وذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».

رابعا: الحرص على الرزق الحلال

لا شك أن أمر الرزق يشغل عامة الناس، وكذلك أمر الأجل، والمؤمن المتوكل على الله لا ينشغل كثيرًا بهما؛ لأنه مطمئن تمامًا إلى أن الرزق مقسوم، والأجل معلوم، فلا يملك أحد أن ينقص من رزقه، كما لا يملك أحد من الخلق أن يغير أو يقدم أجله، وهذا لا يعني أن يهمل المتوكل أمر السعي لطلب الرزق، وأن ما أصابه من خير لا يمكن أن يخطئه، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه، ولهذا فهو لا يقتل ولده من إملاق أو خشية إملاق؛ كما فعل أهل الجاهلية الأولى، ولا يمنع نسله ويجهض امرأته؛ كما يفعل بعض الناس في العصر الحديث، وإنما يتعامل مع النسل على أنه رزق من عند الله، قد كفله الله، ولكنه يأخذ بالأسباب لتحسين مستوى النسل، ورفع مستوى الفرد، وتعليمه وتثقيفه بما يحقق نفعه في الدنيا والآخرة. وهذه مسئولية الرجل في بيته وأسرته، ومسئولية المرأة في بيتها مع أولادها، ومسئولية المعلم مع تلامذته، ومسئولية الحاكم في المجتمع المسلم، كما قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...» الحديث.

والمؤمن في أمر الرزق لا يركن إلى الحرام، فيسعى إلى كل كسب طيب، ويبتعد عن سبل الكسب الخبيث، وقد علم أن رزقه لن يخطئه أبدًا، فلماذا يحرص على الحرام ويستكثر منه مادام أن الرزاق قد كفل له رزقه، وهو كذلك لا ينشغل عن آخرته بسعيه لأجل دنياه، بل يحرص على الخيرات، ويسابق إلى الطاعات؛ لأنه يتطلع إلى الحظ الأوفر، والنصيب الأعظم من الرزق المقسوم؛ ألا وهو الجنة، فيطمع في الفردوس الأعلى، ويسأل ربه التوفيق والمعونة؛ عملاً بقول النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». [رواه البخاري].

لقد وثق المسلمون الأوائل بوعد الله، واطمأنوا إلى كفايته، فبذلوا الأموال والأرواح في سبيل الله، شوقًا إلى الجنة، وخوفًا من النار، حتى جاء الصديق في غزوة العسرة بماله كله، فقال له النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. [متفق عليه].

ومع أهمية الرزق فهو ليس ما يطلبه الناس من أمر الدنيا فحسب، فالرزق أشمل وأعم من المال أو المتاع، ولهذا يحرص المؤمن المتوكل على طلب الزوجة الصالحة ذات الدين التي تعينه على أمري الدنيا والآخرة، وقد قال النبي ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك». [متفق عليه].

وكذلك يحرص المؤمن على طلب الذرية الصالحة التي تقر بها عينه وترثه من بعده في عمارة الأرض، وعبادة الله سبحانه، فيلحقه من عملها ودعائها بعد موته الخير الكثير، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ومن فضل الله ورحمته أن جعل عمل الذرية الصالح ودعاءها في ميزان الآباء، وألحق الأبناء بالآباء، قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وقال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:

صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له». [رواه مسلم].

وأفضل ما يحرص عليه المؤمن بعد الإيمان واليقين أن يرزقه الله العافية في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أيها الناس، سلوا الله العافية، فإن أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية». [رواه أحمد والترمذي].

والمؤمن يعلم يقيناً أن الآجال مضروبة وأن الأرزاق مقسومة، وأن الله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

ولهذا فهو يسعى في طلب الرزق أخذاً بالأسباب المباحة وقد تعلق قلبه بالرزاق فاطمأن أن الرزق مكفول مضمون، فطلب الرزق بغير استشراف نفس ولا ركون إلى دنيا متمثلاً قول الحبيب محمد ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

وقال رسول الله ﷺ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها، ولتنكح فإنه يأتيها ما قُدر لها».

وسمع النبي ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها تقول: «اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها رسول الله ﷺ إنك سألت الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيئا منها قبل حله ولا يؤخر منها شيئا بعد حله ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لك» [مسلم ك القدر].

خامسا: مشاهدة القدر

والمؤمن بقدر الله عز وجل يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فيصبر ويثبت عند المصائب التي لا يملك لها دفعاً قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

فيشهد المؤمن قدر الله عند المصائب فيرضى ويُسلم ويقول مقالة الحبيب محمد ﷺ: «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا».

وكذلك يرى الهداية والتوفيق للطاعة، فلا يرى لنفسه حسنة، ولا يدخل العُجب إلى قلبه، بل يرى منة الله عز وجل عليه أن وفقه وهداه، وفي المقابل يرى قصور نفسه وعجزها عن الوفاء بحقوق العبودية، ولقد كان أصحاب النبي ﷺ يقولون:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال ابن القيم: حق الله في العبادة ست: الإخلاص، المتابعة، النصح، الإحسان، شهود منة الله تعالى، ومطالعة عيب النفس.

أما في الذنوب والمعاصي فلا يحتج بقدر الله تعالى عليها ليبرئ نفسه بل يعود على نفسه باللوم والتأنيب ويحملها على التوبة والإنابة. فإذا تاب وأناب فليس لأحد كائنًا من كان أن يلومه على ذنب تاب منه. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى قَالَ مُوسَى أَنْتَ آدَمُ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِى جَنَّتِهِ ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرْضِ فَقَالَ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ وَأَعْطَاكَ الأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَىْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ قَالَ مُوسَى بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) قَالَ نَعَمْ. قَالَ أَفَتَلُومُنِى عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَىَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِى بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

ستون عامًا على اغتصاب فلسطين... وأمة تحيط بها الفتن

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله، رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن أمة الإسلام قد أحاطت بها الفتن والبلايا، ونزلت بها الشدائد والكربات، واستُهدف الإسلام من أعداء الإسلام ومن بعض المنتسبين إليه، في تلاقٍ شاذ من خلال خطط يستهدف المسلمين جميعًا؛ ليشعل الصراع بينهم، وكذلك بين الحكام والرعية، فتشتد الصراعات، ويعلو صوت المتشدقين الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام من شياطين الإنس الذين يرتدون أقنعة زائفة ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب، وفي غمار الحياة الدنيا الزائفة يلهثون وراء مصالحهم الدنيوية، متناسين أن هناك إلهُ خالق، عالم بالأسرار.. منتقم جبار، عاصم من الفتن ومن أصحابها.

ونحن نعيش اليوم زمان الفتن والبلايا، فإننا نرى أن من أشد الأحداث وأقساها إيلامًا بالأمة حدثين يضربان بجذورهما في أعماق الأمة، فها هي ذكرى نكبة فلسطين التي تعتبر من أفجع المآسي في تاريخ العالم الإسلامي، حيث شهد التاريخ الحديث اقتلاع جذور شعب ودولة، وإحلال مكانه عصابات اليهود من شتات العالم، كذلك نتذكر أيضًا في هذه الأيام ذكرى أخرى مريرة ؛ ألا وهي احتلال أرض العراق وتقتيل شعبه، ونهب ثرواته، وإرهاب أهله، وتدبير المؤامرات والكيد له ليل نهار. والفتن والمؤامرات تتابع تترا على الإسلام والمسلمين من أعداء الداخل والخارج، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ستون عامًا على اغتصاب فلسطين

لقد حذرنا الله تعالى من الفتن، فقال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وحذرنا كذلك رسولنا ﷺ من الفتن، بل سمى بعضها ووصفها كي نحذرها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن نبيٌ قبلي إلاَّ كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تُنكرونها، وتجيء فتنةٌ فيرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهْلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمَن أحبَّ أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ؛ فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى النَّاس الذي يُحبُّ أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا، فأعطاه صفْقَةَ يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عُنق الآخر». [صحيح مسلم ١٨٤٤].

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمَن جُنِّب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا». [سنن ابي داود]. (ومعنى: واهًا: كلمة تعني التلهف، وقد توضع للإعجاب بالشيء).

وقال رسول الله ﷺ: «استعيذوا بالله من أربع: فتنة القبر، وعذاب النار، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح

الدجال». [رواه البخاري ومسلم].

وفي ذكرى نكبة فلسطين نرى الفتن التي تموج كموج البحر بين فصائل الشعب الفلسطيني، ومن يحاول إشعالها من قبل الأمريكان واليهود؛ ليشعل الاقتتال الداخلي بين الفصائل الفلسطينية، مما يكون له أسوأ الأثر في ضياع قضية فلسطين، فهل يليق أن يتحول الأشقاء إلى أشقياء ويقعون فريسة لمؤامرة دنيئة يتولى كبرها أعداء الإسلام.

ستون عاماً على اغتصاب فلسطين، وقيام إسرائيل، وكان من أساسيات عقيدة الدولة اليهودية: أن فلسطين أرض بلا شعب، ولكننا سنوجز في أسطر قليلة معلومات مُدونة عن الفلسطينيين واليهود:

□ عندما صدر وعد بلفور كان اليهود في الأراضي الفلسطينية يمثلون ٣٠٪ من تعداد السكان حوالي ٥٦٠ ألف نسمة يتركزون في حيفا ويافا والقدس.

□ الحديث عن نكبة فلسطين والتهجير المخطط لأهلها والمنظم لأكثر من ٨٠٪ من الفلسطينيين عام ١٩٤٨ إنما يُشكل أكبر مأساة حدثت لشعب من شعوب العالم، وأن هذه الفكرة لم تبدأ بعملية التهجير الواسعة التي انطلقت في أعقاب حرب ١٩٤٨م، حيث إن استيطان فلسطين تم ما بين ١٨٧٨- ١٩٤٨م، كان يمثل العامل الأساسي لميلاد الدولة اليهودية.

□ الوضع العربي كان يوضح أن غالبية الأراضي عربية، وما تملكه اليهود حتى عام ١٩٤٥ كان حوالي ٥,٥٪ من فلسطين.

□ ١٩٤٨ قررت بريطانيا سحب قواتها من فلسطين، وإنهاء حالة الانتداب، وتركت اسلحتها ومواقعها العسكرية، لتسيطر عليها العصابات الصهيونية فوجد عرب فلسطين أنفسهم لأول مرة في تاريخهم أمام واقع مرير ؛ وهي الدولة اليهودية!!

□ بعد النكبة سيطر اليهود على ٩٩ قرية من بين ٧٤٤ قرية ودمروها وغيروا معالمها.

□ استدعاء اليهود من الدول العربية: العراق والمغرب ومصر ليسكنوا القرى العربية.

□ طرد الفلسطينيين قبل استدعاء اليهود العرب إلى سوريا ولبنان والضفة وغزة والأردن.

□ استطاع اليهود بالتنظيف العرقي طرد الفلسطينيين إلى ستمائة موقع في الضفة وغزة والبلاد العربية المجاورة منها ٦٩ مخيم رسمي ترعاه الأمم المتحدة وتنفق عليه المنظمات الدولية.

- القرى التي كان يتم طرد أهلها وتدميرها كانت عبارة عن عائلات فلسطينية ٨٥٪ كانوا يهاجرون إلى مكان واحد أو اثنين على الأكثر.

□ قاعدة البيانات تسجل حوالي ٦ مليون فلسطيني في أنحاء مختلفة، وتجمعات فلسطينية.

□ بعد عام ١٩٤٨م ٩٠٠ ألف لاجئ فلسطيني ٨٥٪ منهم في الأراضي التي احتلت عام ١٩٤٨م.

□ بعد وقوع هزيمة ١٩٦٧م كان هناك المزيد من التهجير، وتقلص الجزء العربي إلى أن أصبح اليهود يسيطرون بطريقة كبيرة على حوالي ٩٢٪ من الأراضي الفلسطينية.

□ دمرت إسرائيل أكثر من ٤٠٠ قرية تدميراً كاملاً لكي يقطعوا خط العودة على أصحابها تماماً.

□ ٥٤٪ من الفلسطينيين المهجرين يعيشون خارج فلسطين معظمهم في الدول العربية المجاورة.

□ ٦٪ من مجموع الفلسطينيين النازحين يعيشون في البلاد العربية غير المجاورة كدول الخليج.

في ذكرى احتلال فلسطين نرى فتنا تموج كموج البحر بين فصائل الشعب الفلسطيني، ومن يحاول إشعالها من قبل الأمريكان واليهود؛ ليزداد الاقتتال الداخلي بين الفصائل الفلسطينية، فهل يليق أن يتحول الأشقاء إلى أشقياء ويقعون فريسة لمؤامرة دنيئة يتولى كبرها أعداء الإسلام!!

□ يجب أن يخطط لكيفية استرجاع الوضع الموجود، وكيفية العودة لفلسطيني ١٩٤٨م، والعودة إلى أراضيهم داخل إسرائيل.

□ ٩٠٪ من القرى المهجورة مازال خاليًا والأراضي يسكنها ويحجزها الجيش الإسرائيلي، وأن عودة الفلسطينيين ممكنة جدًا ولا يمنعهم سوى السياسة العنصرية الإسرائيلية.

□ ١,٥ مليون في قطاع غزة هم أصحاب ٢٤٧ قرية تم تطهيرها واستبعادهم إلى القطاع حيث لا كهرباء ولا مياه ولا وسيلة حياة !!

□ يعيش ٦٠٠٠ شخص على كل كيلو متر مربع في غزة.

□ أهالي قطاع غزة اليوم يساوون عدد سكان فلسطين ١٩٤٨م.

□ إسرائيل تضع على أطراف حدودها التي رسمتها لنفسها اليهود الروس واليهود العرب، أما اليهود الأصليين فهم يسكنون في منطقتين هما ؛ تل أبيب وحيفا.

□ أغلبية اليهود والعرب يشكلون أصحاب الأعمال والحرف البسيطة.

□ التغيير الديموجرافي والسكاني لعب دورًا كبيرًا طوال ستين عامًا بعد الطرد والقتل والتنكيل والتشريد مما يحتم ضرورة التركيز على عودة الفلسطينيين إلى أرضهم المسلوبة.

□ ٢,٧ مليون يهودي هاجروا منذ عام ٤٨ من جميع أنحاء العالم إلى إسرائيل، منهم مليون يهودي عربي، والباقي من اليهود الروس والدول الأخرى من جميع دول العالم.

□ معدل الهجرة إلى إسرائيل سيتوقف بسبب امتزاجهم بالمجتمعات الأوروبية وأمريكا حيث يعيشون في تلك المجتمعات.

□ يتراوح عدد اليهود في العالم كله حوالي ١٣ مليون يهودي.

□ تهدف الخطة الصهيونية ألا يزيد عدد اليهود في فلسطين عن ٥٢٪ من تعدادهم في العالم ؛ لرغبتهم في بقاء نسبة كبيرة من اليهود في أمريكا بما لا يقل عن ٥ مليون حتى تبقى وسائل الضغط اليهودي في أمريكا كما هي.

□ هناك مؤامرة دولية، وخاصة أمريكا للحفاظ على أن تكون إسرائيل دولة يهودية مهما تزايد عدد الفلسطينيين.

□ إسرائيل لن تقبل إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة وغزة والقدس، ولو قبلوا بها فسيكون ذلك مجرد سجن كبير يُوضع فيه الفلسطينيون.

ضلالات جمال البنا وخرافاته!!

ومع اشتداد الفتن.. وتكالب أعداء الإسلام للنيل من دين الله عز وجل... يخرج علينا صاحب الخرافات المدعو «جمال البنا» عبر عدد من الفضائيات التي تستضيفه، والتي أثارت ردود أفعال قوية بسبب ما تحمله من تناقض مع ثوابت الشريعة الإسلامية من جهة، وبسبب صدورها من غير أهل الاختصاص من جهة أخرى.

وحول ما قاله البنا بشأن جواز تبادل القبلات بين غير القادرين على الزواج، فإن هذا الكلام يؤدي إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع، وجمال البنا قد تجاوز الثمانين من عمره وهو ليس من أهل الفتوى، فهو دائمًا يسعى لإثارة الموضوعات المثيرة للفتن، وليست هذه هي المرة الأولى التي يدلي فيها بهذه الآراء الغريبة، والفطرة السليمة والعقول الراشدة النقية لا تقبل استباحة ما حرمه الله، ونحن نسأل من يدعو إلى مثل هذا السلوك: هل يقبله لأمه، أو لأخته، أو لابنته، فإن قبله فقد عرفنا حقيقته ولا حاجة لنا لمزيد من الحديث معه في ذلك، وإن لم يقبله فلماذا هذا العبث بشرع الله والتجني على دينه.

وقد ادعى البنا أيضًا وجوب رضا المرأة بالطلاق، وعدم انفراد الرجل بهذا القرار، لأن الزواج بينه وبين المرأة قد تم بالقبول والرضا، وكذلك ينبغي أن يكون الطلاق كذلك.

نقول للكاتب جمال البنا الذي ادعى التعارض بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف: إنه لا يوجد ثمة تعارض بين القرآن الكريم والحديث النبوي، إنما التصادم في عقله المريض، وفهمه السقيم، وعليه أن يرجع إلى أمهات الكتب ليكتشف ضحالة فكره، وضلال منهجه.

نقول لذلك المدعو: إن أحكام الطلاق والزواج من ثوابت هذا الدين العظيم، وقد فصل فيها العلماء والفقهاء تفصيلاً دقيقًا، ولم يقل بمثل هذا القول على مر الزمان أحد

ويقول البنا كذلك: إن معيار الحكم على الحديث هو آيات القرآن الكريم، وأن هناك أحاديث تتعارض مع القرآن !!

ونقول لهذا المخرف: إن علماء الحديث والمتخصصين لم يقفوا على حديث واحد يتعارض مع آية من القرآن الكريم، ومن قال غير ذلك فإنه الزيغ والفتنة التي حذرنا منها ربنا عز وجل في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٢، ٥٣].

وعن ادعائه أن هناك تصادم بين حديث قتل المرتد: «من بدل دينه فاقتلوه»، وبين آيات القرآن الكريم التي تؤكد على حرية الاعتقاد مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

نقول لذلك الكاتب الذي يدعي أنه كاتب إسلامي: إنه لا يوجد ثمة تصادم بين الآية والحديث، إنما التصادم في عقله المريض، وعليه أن يرجع إلى أمهات الكُتب ليكتشف ضحالة فكره، وسوء فهمه.

نداء إلى أصحاب المخابز

ومع كثرة الأزمات التي تحيط بالأمة؛ نرى أزمة أخرى تطل برأسها علينا ؛ وهي المتعلقة بأزمة رغيف الخبز، وما أحدثته من ضجة في الشارع المصري في الآونة الأخيرة، فبالأمس القريب أثلج صدورنا قرار القضاء الإداري في مجلس الدولة بأحقية المحافظين في توقيع عقوبات على أصحاب المخابز الذين يتلاعبون في أوزان الخبز أو حصص الدقيق، وذلك بالغلق أو تخفيض الحصة المخصصة لهم وتقديمهم إلى المحكمة الجنائية!! وإنني أنتهز تلك الفرصة وأقول لأصحاب المخابز والمتلاعبين في أقوات الشعب وفي رغيف الخبز- على وجه الخصوص- الذي لا يستغنى عنه بيت فنقول: معلوم لديكم (يا أصحاب المخابز) الأزمة التي تمر بها البلاد، وأن الدولة تبذل قصارى جهدها من أجل توفير السلع الأساسية لكل المواطنين، وتنفق في سبيل ذلك الأموال الطائلة حتى يصل الدعم إلى مستحقيه، ورغيف الخبز إلى محتاجيه، وقد استأمنكم المسئولون في هذا البلد على هذه الأمانة كي تؤدوا الحقوق إلى أهلها، فاتقوا الله وخافوه يا أصحاب الضمائر الحية والقلوب اليقظة، وتذكروا أنكم موقوفون بين يدي الله عز وجل، وسيسألكم عن الصغير والكبير والنقير والقطمير، وأن الله سائل كل فرد عما استرعاه، فحققوا أمل أفراد الأمة فيكم، فأنتم أمناؤه على هذا الأمر، وكلنا في هذا البلد جسدٌ واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

واعلموا أن التلاعب في أقوات الشعب من خلال الاتجار في الدقيق المدعوم بالسوق السوداء، وكذلك العبث بالموازين المقررة في هذا الشأن عملٌ مخالف لشرع الله عز وجل، وقد توعد الله عز وجل المخالفين لذلك بنار جهنم حيث قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١- ٦].

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!!

> **إن الدولة تبذل قصارى جهدها من أجل توفير السلع الأساسية لكل المواطنين، وتنفق في سبيل ذلك الأموال الطائلة حتى يصل الدعم إلى مستحقيه، ورغيف الخبز إلى محتاجيه، فاتقوا الله يا أصحاب المخابز في أقوات الشعب وتذكروا أنكم موقوفون بين يدي الله، وإن الله سائل كل فرد عما استرعاه.**

سورة الفجر

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)﴾

«سورة الفجر١:٢٠».

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، استُفتحت بالقسم من الله عز وجل، ثم تحدثت عن ثلاثة أمور: الأول: مصارع الغابرين. الثاني: سنة الله في ابتلاء الناس بالخير والشر. الثالث: أهوال يوم القيامة.

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾. الفجرُ معروفٌ، وهو الصبحُ، وقد أقسم الله به في قوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾. والليالي العشر هي عَشْرُ ذي الحجة، أقسم الله بها لفضيلتها ومكانتها الخاصة، التي بينها النبي ﷺ في قوله: «ما من أيامٍ العمل الصالح فيها أحبَّ إلى الله تعالى من هذه العشر». يعني عشر ذي الحجة. قالوا: «ولا الجهاد في سبيل الله يا رسول الله؟» قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء». والشفع هو الزَّوْجُ، والوتر هو الفرد، وقد ذكر المفسرون في المراد بها أقاويل كثيرة. وأرجحها، أنه يجبُ إبقاءُ اللفظ على عمومه، لأنّ الله تعالى لم يخصّ شفعًا دون شفعٍ، ولا وترًا دون وتر، فكل شفعٍ فهو داخلٌ في عموم هذا القسم، وكذلك كل وتر.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أي: يذهب بظلامه، كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾، فمتى جاء

الفجر ذهب الليلُ.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾: الحجر هو العقل، وسُمّي العقلُ حجْرًا لأنه يحجر صاحبه أي يمنعُه من الفواحش، يقال: حجر الحاكمُ على فلانٍ، إذا منعه من التصرّف في ممتلكاته لدينٍ أو غيره. وهذا السؤال بعد ذلك القسم كقولك لإنسان قد وضحّتَ له مسألة، فأتيتَ عليها بكلِّ برهانٍ، ثم قلت له: أتكفيك هذه البراهينُ؟ وأنت لا تريدُ بسؤالك هذا إلا إلزامه، تعني أنّه ليس بعد هذا البيان بيانٌ، ولا بعدَ هذه البراهين برهانٌ، وهذا كقوله تعالى وقد أقسم بمواقع النجوم: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. وجوابُ القسم محذوف يفسره ما بعده.

مصارع الغابرين

ثم لفت الله تعالى الأنظارَ إلى مصارع الغابرين، تحذيرًا للمكذبين أن يحيق بهم ما حاق بالأولين، ووجه الخطاب إلى الرسول ﷺ تثبيتًا لقلبه، وربطًا على فؤاده، حتى يعلم أنّ العاقبة له كما كانت لإخوانه المرسلين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إرم بدلٌ من عاد وكان القومُ ذوي أجسامٍ طويلة، حتى قيل: كان طولُ الرجلِ اثنى عشر ذراعًا، وعليه فلا بد أن تكون البيوتُ عاليةً، مما يستلزم طول العماد، وقد كانوا أولي قوة وأولي بأسٍ شديد، ولذا قال تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، وذكّرهم هود عليه السلام بهذه النعمة فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ «الأعراف: ٦٩»، ولكنّ القومَ اغتروا بقوتهم: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ «فصلت: ١٥»، ولم يذكر اللهُ تعالى هنا ما فعل بهم، ولكنّه ذكره في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ «الحاقة: ٦-٨».

وقوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أي: قطعوا الصّخر واتخذوا البيوت، يُقال: جاب فلانٌ البلاد، أي قطعها، ولقد ذكرهم نبيهم صالحٌ بهذه النعمة، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ «الأعراف: ٧٤»، ولكنّ القوم كذبوا رسولهم: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ «الأعراف: ٧٧، ٧٨»، وقوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، قال بعضُ العلماء: المرادُ بالأوتادِ الجنودُ، الذي يثبتون الملك، كما تُثبّتُ الخيمةَ الأوتادُ، وقال بعضهم: إنّ فرعون كان إذا عذّب أحدًا مدّ له أربعة أوتاد، وجعل كل طرف من أطرافه في وتد، وأمر زبانيته أن يرموه بالصخر والحجارة حتى يموت، وقال بعضهم: المراد بالأوتاد الأهرامات، لأنها تشبه الأوتاد، وهذا القولُ هو الراجح لمناسبة الآية لما قبلها، إذا فسرناها به، فمنطقة الأهرامات ليس فيها من صخورها شيء، ومعناه أنهم أتوا بهذه الصخور من مسافات، وركّبوها فوق بعضها، حتى كانت على ما هي عليه، وفي ذلك إشارةٌ إلى قوتهم أيضًا، كما أشارٌ إلى قوة ثمود بقوله: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾.

وقد كذّب فرعونُ المرسلين، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ «الذاريات: ٤٠».

﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ «يونس: ٩٠-٩٢». وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾: الطغيانُ هو مجاوزة الحدّ، والطغاة يفسدون في الأرض ولا يُصلحون، ولذا قال تعالى: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ يفسّره قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ «العنكبوت: ٤٠». ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ «هود: ١٠٢». ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ «الحشر: ٢». ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾

«القمر: ٤٣-٤٦».

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

«إبراهيم: ٤٧».

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾. نسأل الله السلامة.

كثيرٌ من الناس يربطون سعة الرزق برضا الله، فإذا رأوا رجلاً قد وسّع اللهُ عليه قالوا: رَضيَ الله عنه فوسّع عليه، وإذا رأوا آخر قد قُدرَ عليه رزقه قالوا: سَخطَ الله فأهانه، والإنسانُ نفسه يعتقد ما يعتقده الناسُ فيه، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا﴾ ليس الأمرُ كما قال، فإنَّ الله يوسّع على من يُحِبّ ومن لا يحب، ويقدر لمن يحب ومن لا يحب، وربما وسع على من لا يحب، وقدر لمن يحب، لقد كان الرسول ﷺ وهو خليلُ الله يربط الحجر على بطنه من الجوع.

وكان يمرّ الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما يُوقد في بيت رسول الله ﷺ نار. «متفق عليه».

فليست هناك علاقةٌ بين سعة الرزق ومحبة الله، ولا بين ضيق الرزق وسخط الله، بل الله يبتلي عباده بما يشاء، يبتلي هذا بالسعة لينظر أيشكر أم يكفر، ويبتلي هذا بالضيق لينظر أيصبر أم يكفر، والسعيد من إذا وُسع عليه شكر، وإذا قدر عليه صبر، ولا يكون كذلك إلا مؤمن، ولذا قال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له». «رواه مسلم».

ولما أشار الله تعالى إلى قبيح قول الإنسان أشار إلى قبيح فعله، فقال: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، وهذه أفعال المكذبين بيوم الدين، الكافرين بالله رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ «الماعون: ١-٣». وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ

ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾

«الحاقة: ٣٠-٣٤».

وقوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا﴾ المرادُ بالتراث الميراثُ، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان، حتى جاء الإسلام فقال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ «النساء: ١٢٧»، وقال: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ يعني الذين لا تؤتونهم ما كُتبَ لهم، فأعطى الإسلام المرأة حقها والصغير حقه، وإن الإنسان ليحزن حين يرى المسلمين يفعلون فعْلَ الجاهلية، يأكلون التراث أكلاً لمًا، ولا يُؤتون كل ذي حق حقه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فيا إخوة الإسلام: احذروا أن تأكلوا التراث أكلاً لمًا، أيها الوالد: احذر أنْ تكتب لزوجة دون زوجة، احذر أن تكتب لأبناء واحدةٍ دون أبناء الأخرى، احذر أن تكتبَ للذكور دون الإناث، واحذر أنْ تعطي ولدًا دون الآخر.

أيها الإخوة: احذروا أن تَحْرِموا أخواتكم، فإنَّ النساء من المستضعفين، وقد كان ﷺ يقول: «اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة».

«ابن ماجه ٣٦٧٨».

أعْطُوا كل ذي حق حقَّه، واتقوا الله في أنفسكم، واتقوا الله في نسائكم، واتقوا الله في بناتكم، واتقوا الله في أخواتكم، واتقوا الظلم فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة». واتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب. قال ﷺ: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين».

فكيف حال من ظلم دونمات أو فدادين؟ كيف يطيق حملها يوم القيامة: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ «فاطر: ١٨»، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾. اتقوا الله عباد الله، فإن الله سبحانه ختم آيات المواريث بوعدٍ عظيم ووعيد شديد، فقال سبحانه بعد أن أعطى كل ذي حق حقه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي كثيرًا، وهذه فطرةُ الإنسان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ «العاديات: ٦-٨». والخير هو المال، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ «البقرة: ١٨٠»، أي إنْ ترك مالاً كثيرًا، وهذا الحبُّ الفطري لا يُذم إلا إذا حَمَلَ على كسب المال من الحرام، والبخل بما وجب فيه من حقّ، أما إذا كان الإنسانُ محبًا للمال يجمعه من حلال بطرق الكسب المشروعة، ويؤدي الحق الذي عليه فيه، فإنه لا يُذم حينئذ، وقد كان النبي ﷺ يقول: «لا بأس بالغنى لمن اتقى».

«رواه ابن ماجه».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد تُرك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رأى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمانِ».

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩).

كما أخرجه الإمام أبو داود في سننه في باب الخطبة يوم العيد برقم (٢١٤٠)، وكذا الإمام الترمذي في جامعه باب ما جاء في تغيير المنكر باليد واللسان والقلب برقم (٢١٧٢)، وأخرجه أيضًا الإمام النسائي في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان برقمي (٥٠١١-٥٠١٢). وكذلك الإمام ابن ماجه في السنن في باب ما جاء في صلاة العيدين برقم (١٢٧٥). كما أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ١٠-٢٠-٤٩-٥٢-٥٣-٥٤-٩٢).

شرح الحديث

في هذا الحديث بيان أن أول من بدأ في صلاة العيد من الأمراء بالخطبة قبل الصلاة هو مروان بن الحكم، لكن قال القاضي عياض رحمه الله- كما نقله عنه النووي في شرحه لصحيح مسلم: اختلف في هذا، فوقع هاهنا ما تراه. وقيل: أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى الناس يذهبون عند تمام الصلاة ولا ينتظرون الخطبة، وقيل: بل ليدرك الصلاة من تأخر وبَعُدَ منزله. وقيل: أول من فعله معاوية رضي الله عنه، وقيل فعله ابن الزبير رضي الله عنه.

والذي ثبت عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمرو عثمان وعلي رضي الله عنهم تقديم الصلاة، وعليه جماعة فقهاء الأمصار، وقد عده بعضهم إجماعًا، قال النووي:

يعني: والله أعلم بعد الخلاف، أو لم يلتفت إلى خلاف بني أمية بعد إجماع الخلفاء والصدر الأول، واستنبط النووي رحمه الله تعالى من قول أبي سعيد رضي الله عنه في الرجل الذي نصح لمروان: أما هذا فقد قضى ما عليه، بمحضر من ذلك الجمع العظيم دليلاً وحجة على استقرار السنة عندهم على خلاف ما فعله مروان، وكذلك يعضد هذا احتجاج أبي سعيد رضي الله عنه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليغيره». ولا يسمى منكرًا لو اعتقده هو ومن حضر، أو سبق به عمل، أو مضت به سنة. قال النووي: وفي هذا دليل على أنه لم يعمل به خليفة قبل مروان، وأن ما حكي عن عمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم لا يصح، والله أعلم.

وقد أورد النووي تساؤلاً حول تأخر أبي سعيد عن إنكار المنكر حتى سبقه إليه ذاك الرجل.

وأجاب بقوله: إنه يحتمل أن أبا سعيد رضي الله عنه لم يكن حاضرًا أول ما شرع مروان في أسباب تقديم الخطبة فأنكر عليه الرجل فدخل أبو سعيد وهما في الكلام، ويحتمل أن أبا سعيد كان حاضرًا من أول ما شرع مروان ولكنه خاف على نفسه أو غيره حصول فتنة بسبب إنكاره فسقط عنه الإنكار، ولم يخف ذلك الرجل شيئًا لاعتضاده بظهور عشيرته، أو غير ذلك، ويحتمل أن أبا سعيد همَّ بالإنكار فبدره الرجل فعضده أبو سعيد، والله أعلم.

ثم قال النووي: ثم إنه جاء في الحديث الآخر الذي اتفق الشيخان على إخراجه في صلاة العيد أن أبا سعيد هو الذي جذب بيد مروان حين رآه يصعد المنبر، وكانا جاءا معًا، فرد عليه مروان بمثل ما رد هنا على الرجل، فيحتمل أنهما قضيتان؛ إحداهما لأبي سعيد والأخرى للرجل بحضرة أبي سعيد والله أعلم. وقول أبي سعيد: «فقد قضى ما عليه» فيه تصريح بإنكار أبي سعيد رضي الله عنه.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الإمام النووي: فأما قوله: «فليغيره» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضًا من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم، كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافًا للمعتزلة.

وأما قوله تعالى: ««عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»» [المائدة: ١٠٥]، فليس مخالفًا لما ذكرناه ؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: إنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ««وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»» [الإسراء: ١٥]، وإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب عليه بعد ذلك لكونه أدى ما عليه، فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول، والله أعلم.

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ؛ وذلك لقول الله تعالى: ««وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»» [آل عمران: ١٠٤] ثم إنه قد يتعين ؛ كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف.

ضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المكلف لكونه لا يفيد حسب ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقد تقدم أن الذي على المكلف إنما هو الأمر والنهي لا القبول، كما قال الله تعالى: ««مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ»» [المائدة: ٩٩]، وقد مثل العلماء لهذا بمن يرى إنسانًا في الحمام أو غيره مكشوف العورة، ونحو ذلك.

ثانيًا: لا يشترط في الآمر الناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنبًا ما ينهى عنه، بل عليه الأمر ولو كان مخلاً بما يأمر به، والنهي ولو كان متلبسًا بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان ؛ أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخلَّ بأحدهما فكيف يباح له الإخلال بالآخر ؟

ثالثًا: لا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين، قال إمام الحرمين: الدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر، مع تقرير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من

غير ولاية.

رابعًا: إنما يأمر وينهى من كان عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء فإن كان من الواجبات الظاهرة كالصلاة والصيام، أو المحرمات المشهورة كالزنا وشرب الخمر ونحوها فعامة المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء.

خامسًا: العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين: كل مجتهد مصيب، قال النووي: وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر: المصيب واحد، والمخطئ غير متعين لنا والإثم مرفوع عنه، قال: لكن إن ندبه- على جهة النصيحة- إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف، إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر.

هذا، وقد ذكر أبو الحسن الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» خلافًا بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد، أم لا يغير ما كان على مذهب غيره؟. والأصح أنه لا يغير، لما سبق ذكره، ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكذا بين التابعين فمن بعدهم، ولا ينكر محتسب منهم ولا غيره على غيره، وكذلك قالوا: ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه ما لم يخالف نصًا صريحًا أو إجماعًا أو قياسًا جليًا. والله تعالى أعلم.

سادسًا: ينبغي للآمر الناهي ألا يترك ذلك بسبب صداقة أو مودة أو طلب وجاهة أو مداهنة أو دوام المنزلة عنده، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من يسعى في إعمار آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب آخرته أو نقصها وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًا لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها.

سابعًا: يجب على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يرفق بمن يأمره وينهاه، ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

[أخرجه مسلم من حديث أم المؤمنين عائشة برقم ٢٥٩٤].

وصح عنه أيضًا صلوات الله عليه قوله: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».

[مسلم: ٢٥٩٣ عن عائشة].

وصح عنه صلوات الله وسلامه عليه قوله: «من يحرم الرفق يحرم الخير». [مسلم: ٢٥٩٢ عن جرير].

وقد أثر عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

ثامنًا: وتغيير المنكر باليد لمن له السلطان في رعيته كالزوج مع زوجته، وكالأب مع أولاده، وكل راع في رعيته، وذلك لقول النبي ﷺ : «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته». فيغير ذو السلطان بكل ما أمكنه من وسائل التغيير.

ومعلوم أن دفع المنكر إذا أدى إلى مفسدة مثله أو أعظم منه فإنه حينئذ لا يجوز تغييره، وقد استدل العلماء على ذلك بقوله تعالى: ««وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ»» [الأنعام: ١٠٨].

تاسعًا: قال الماوردي في الأحكام السلطانية: ليس للمحتسب أن يبحث عن المنكرات غير الظاهرة، فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة وآثار ظهرت، فذلك ضربان : أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذه الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرًا من فوات ما لا يستدرك، الضرب الثاني ما قصر عن هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه، فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة من دار أنكرها خارج الدار، ولم يهجم عليها بالدخول لأن المنكر ظاهر فليس عليه أن يكشف عن الباطن، والله أعلم.

عاشرًا: قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:

هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل ويريق المسكر بنفسه أو يأمر من يفعله، وينزع الغصوب، ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إن أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم المخوف شره إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى، ويغلظ على المتمادي في غيه والمسرف في بطالته إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره، لكون جانبه محميًا من سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه من قتله أو قتل غيره بسببه، كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان في وسعه، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى، وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان به ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه، هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء المحققين، خلافًا لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى. اهـ.

الآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الإمام النووي : واعلم أن هذا الباب- أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- قد ضُيِّعَ أكثَرُهُ من أزمان متطاولة، ولم يبق منه إلا رسوم قليلة جدًا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده، قال تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣]، وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم».

[حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٠٧٠)]

فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص النية، ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: «وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [آل عمران: ١٠١]، قال: واعلم أن الأجر على قدر النصب، ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته، وأن يعمنا بجوده ورحمته.

قال المباركفوري في «التحفة» في قوله ﷺ: «...فإن لم يستطع فبقلبه»: بأن لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون تغييرًا معنويًا إذ ليس في وسعه إلا هذا التغيير، وقيل التقدير فلينكره بقلبه لأن التغيير لا يتصور بالقلب. «وذلك» أي: الإنكار بالقلب وهو الكراهية، «أضعف الإيمان» أي: أضعف شعبة من شعب الإيمان، أو أضعف خصال أهل الإيمان، والمعنى أنه أقلها ثمرة، فمن غَيَّرَ المراتب مع القدرة كان عاصيًا، ومن تركها بلا قدرة أو يرى المفسدة أكبر ويكون منكرًا بقلبه فهو من المؤمنين.

وقيل معناه: وذلك أضعف زمن الإيمان (أي أضعف الأجيال إيمانًا)؛ إذ لو كان إيمان أهل زمانه قويًا لقدر على الإنكار القولي أو الفعلي، ولما احتاج إلى الاقتصار على الإنكار القلبي.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يقوي إيماننا وإيمان أهل زماننا، وأن يعيننا وإخواننا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يصلح أحوال المسلمين ويؤلف بين قلوبهم، وأن يصلح ذات بينهم، وأن يوحد صفوفهم تحت راية التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار فرع أنصار السنة المحمدية (فرع كفر كلا الباب، مركز السنطة، غربية)، تحت رقم (١١٠٩) بتاريخ ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٨ م، وذلك وفقًا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ولائحته التنفيذية بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة. والله ولي التوفيق.

أخطار تهدد الأسرة

أخطاء من بداية الزواج

الحمد لله الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

إعداد/ **شوقي عبدالصــادق**

فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن من توكل على الله كفاه، وأن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، وأن الزواج مشاركة بين الزوجين، وأن هذه الشركة أهم الشركات في هذه الحياة، وذلك لأن ما ينتج عن هذه الشركة هو مخلوق كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، ومن هذا المخلوق كان رسل الله إلى عباده، وكان منهم أولياء الله وجنده وحزبه، وإذا كان لهذه الشركة تلك الأهمية كان لابد من الاستقامة على منهج الله عند بدايتها حتى تؤتي أكلها بإذن ربها، وعلى الأزواج وأوليائهم أن يجتنبوا السوء والفحشاء عند بدايتها، ومن هذه الأخطاء في البداية:

أولا: عدم الاستخارة

فإن الاستخارة ما هي إلا إعلان الفقر إلى علم الله سبحانه وتعالى، وقدرته على تقدير ما يعلمه من الخير أو الشر، وأن الإنسان لا يقدر على صياغة المستقبل وإسعاد نفسه إلا بتوفيق الله، ولهذا شُرعت صلاة الاستخارة.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول ﷺ: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسالك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري- أو قال: عاجل أمري وأجله- فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري- أو قال: عاجل أمري- وأجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به ويسمي حاجته». [صحيح البخاري ١/٣٩١].

ويكون هذا الدعاء بعد الفراغ من الركعتين، ولا ينتظر المستخير أن يرى في نومه رؤيا، بل يمضي في حاجته بعد الاستخارة ولا يلتفت إلى الأحلام والرؤى فإنها لا يبنى عليها عمل أو حكم.

ثانيها: عدم الاهتمام بالولي

فالزواج لكي يكون مُوفقًا؛ لابد أن يكون على شرع الله تعالى وشرطه، فلا بركة في عصيان ومخالفة أمر الله ورسوله، فقد أمر الله بقوله: ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

قال الحافظ ابن كثير: وفي هذا دلالة على أن المرأة لا تملك أن تزوج نفسها، وأنه لا بد في النكاح من ولي، وفي الحديث: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل». [صححه الألباني في الإرواء ١٨٣٩].

وقال العلامة ابن عثيمين في فتاويه في النكاح في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]. ووجه الخطاب إلى الأولياء في تزويج الأيامى، وقوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ

بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. ولولا أن الولي شرط لم يكن لعضله أثر. وفي الصحيحين: «لا تنكح المرأة حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها ؟ قال: «أن تسكت». ومعلوم أن ولي المرأة هو أبوها هو الذي يستأمرها أو يستأذنها.

◘◘ ثالثا: خلوة الخاطب ◘◘

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ومن هذه الفواحش التي حرمها الله، ويأمر بها الشيطان وهي من خطواته هذه الخلوة بين الخاطب ومخطوبته، مخالفين بذلك أمر الله ورسوله كما في الصحيحين: «لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم». [اللؤلؤ والمرجان].

وإذا غاب هذا المحرم وخلا الخاطب بمخطوبته فلا تظن أن المجلس خالٍ وإنما فيه أعدى الأعداء، وهو الشيطان ؛ لما رواه جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان». [رواه أحمد].

ويلحق بها تكرار النظرات والمصافحة وكلاهما حرام لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]. ولا يخفى على كل ذي عقل أن الإسلام أباح النظر لأول مرة حيث رضي كل طرف بالآخر وارتاحت له نفسه فما زاد عن هذه النظرة الأولى فهو مما حرمه الله ؛ لما رواه بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة».

[صحيح الجامع ٧٩٥٣].

وعن المصافحة يقول رسول الله ﷺ: «لأن يُطعن أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له». [صحيح الجامع:٥٠٤٥] وإذا بدأ الخاطب بما سبق من مخالفات فقد أساء بداية هذه الشركة.

◘◘ رابعا: مخالفات عند إعلان النكاح ◘◘

ومن هذه المخالفات عند إعلان هذه الشركة هو الاعتداء على خلق الله سواء بالتغيير والتسوية سواء للرجال أو النساء، فالمرأة ترقق حواجبها وتضع الأصباغ، والرجل يحلق لحيته، وتخلع المرأة ملابس الوقار وتلبس ما يظهر جسمها كله إلا قليلاً، وقد نهى الإسلام عن كل هذا فقال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله».

[اللؤلؤ والمرجان ١٣٧٧].

فإذا فرقت المرأة بين أسنانها للحسن لا للعلاج، وإذا رققت حواجبها فقد غيرت خلق الله، وكذا إذا حلق الرجل لحيته فقد غير خلق الله وأتى بما هو أعظم من النمص، وتشتد الحرمة إذا قام الرجل بتزيين المرأة لما فيه من كشف العورة على أجنبي وربما يكون هناك خلوة محرمة فضلاً عن التغيير السابق لخلق الله، فهي ظلمات بعضها فوق بعض، وفي تصوير الزوجين مجاهرة بالمعصية، حيث إن المعاصي السابق ذكرها تصور ويراها من لم يحضرها وتنقل من مكان لآخر، وقد نهى رسول الله ﷺ عن المجاهرة بالمعصية كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين».

ومن المجاهرة أن يعمل العبد عملاً بالليل ثم يصبح قد ستره الله عز وجل فيقول: يا فلان قد عملت كذا وكذا البارحة وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه». [مسلم ٨٣٢].

هذا الذي ستره الله بالليل فما بالنا بالذي بات وأصبح وهو يفضح نفسه ليلاً ونهارًا، وجاء في جواب اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في التصوير ما نصه: «إن تصوير الزوج والزوجة وأسرتيهما في حفل الزواج محرم وهو من عادات الزفاف السيئة وذلك لأن تصوير ذوات الأرواح حرام مطلقًا ومن كبائر الذنوب»، والأصل في تصوير كل ما فيه روح من إنسان وسائر الحيوانات حرام، سواء كانت الصورة مجسمة أم رسومًا على ورق أو قماش أو نحوها ذلك، لما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن

رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

وهذه الصورة تعلق في المنزل في أماكن استقبال الضيفان، وثبت في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة». [اللؤلؤ والمرجان ١٣٦٦].

وجاء في «آداب الزفاف» للألباني: ويجوز أن يُسمح للنساء في العرس بإعلان النكاح بالضرب على الدف فقط وبالغناء المباح الذي ليس فيه وصف الجمال وذكر الفجور، واستدل بأحاديث منها عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت إلى رجل من الأنصار فقال النبي ﷺ: يا عائشة، «أما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟»، وفي رواية فقال: «فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟» قلت: تقول ماذا؟ قال: تقول:

«أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر
ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء»
ما سمنت عذاريكم»

[آداب الزفاف ١٠٧، ١٠٨].

ومن مخالفات الرجال في الزفاف أن الرجل يخضب يديه ورجليه بالحناء بحجة أنه عريس؛ فقد أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال النبي ﷺ: «ما بال هذا؟» فقيل: يا رسول الله يتشبه بالنساء، فأمر به فنفي إلى البقيع، فقالوا: يا رسول الله، ألا تقتله؟ قال: إني نهيت عن قتل المصلين. [صحيح أبي داود ٤١١٩].

قال الحافظ في الفتح: وأما خضب اليدين والرجلين فلا يجوز للرجال إلا في التداوي.

وقال ابن القيم: وقد جوز للمرأة في خضاب اليدين والرجلين ما لم يجوز للرجل.

[عون المعبود ١١/١٧٣].

زواج أم المؤمنين وآداب المسلمين

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكتُ فتمرق شعري، فوفى جُميمة فأتتني أمي أم رومان- وإني لفي أرجوحة ومعي صواحبُ لي- فصرخت بي فأتيتها ولا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخَذَتْ شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليهن وأنا يومئذ بنتُ تسع سنين.

أي: عُقد عليَّ، فتمرق شعري: أي تقطع أو انتتف فوفى جميمة: مصغر جمة أي كثير الشعر حتى على المنكبين، فلم يرعني- بضم الراء وسكون العين-: أي لم يفزعني شيء إلا دخوله عليَّ وكَنَّتْ بذلك عن المفاجاة على غير علم بذلك فإنه يفزع غالبًا. [فتح الباري ص٢٦٤، ٢٥٦ بتصرف].

الآداب المستفادة من الحديث

أولاً: أن وصل الشعر حرام سواء أكان لمعذورة أو عروس أو غيرهما، قال النووي في شرح مسلم لحديث الواصلة، فقد ورد في رواية عند مسلم أن عائشة رضي الله عنها وعكت شهرًا أو تساقط شعرها ولم تقدمها أمها لرسول الله ﷺ كعروس إلا بعد أن وفى جميمة أي نزل إلى الأذنين ولو كان الوصل بشعر آخر جائزًا لفعلوه في هذا الشهر، بل ورد النهي بتحريمه في رواية عند مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار زوجت ابنة لها فاشتكت فتساقط شعرها فأتت النبي ﷺ فقالت: إن زوجها يريدها أفأصل شعرها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواصلات»، ولأن الوصل تغيير لخلق الله وتدليس كذلك النمص والتفليج تغيير لخلق الله.

وللحديث بقية إن شاء الله.

درر البحار
(٥٣)

مشروع تيسير حفظ السنة

من صحيح الأحاديث القصار

إعداد
علي حشيش

١٤٩٧- عن معمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «مَنْ احتكَرَ فهُوَ خَاطِئٌ».

م(١٦٠٥)، حم (١٥٧٥٨)، (١٥٧٥٩)، (١٥٧٦٠)، (١٥٧٦١)، (٣٤٤٧)، ت(١٢٦٧)، جه(٢١٥٤).

١٤٩٨- عن أبي قَتادة الأنصاري رضي الله عنه أنه سَمِعَ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحلفِ في البَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ». م(١٦٠٧)، حم(٢٢٦٠٨)، ن(٤٤٧٢)، (٤/٦٠٥٢- الكبرى)، جه (٢٢٠٩).

١٤٩٩- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَرِيكٌ فِي رَبْعَةٍ أَوْ نَخْلٍ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَبِيعَ حَتَّى يُؤْذِنَ شَرِيكَهُ، فَإِنْ رَضِيَ أَخَذَ، وَإِنْ كَرِهَ تَرَكَ».

م(١٦٠٨)، حم (١٤٤١٠)، (١٤٣٤٥)، (١٥٢٧٩)، د(٣٥١٣)، ن(٤٤٦٠)، (٤٧١٥)، (٤/٦٢٤٢، ٤/٦٣٠٠- الكبرى).

١٥٠٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ إلاَّ طَوَّقَهُ اللَّهُ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ». م(١٦١١).

١٥٠١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ في الطَّرِيقِ، جُعِلَ عَرْضُهُ سَبْعَ أَذْرُعٍ». متفق عليه واللفظ لمسلم، حم(٧١٢٩)، (٩٥٤٢).

١٥٠٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ».

م(١٦٢٧)، ط(١٤٩٢)، حم(٤٤٦٩)، (٤٥٧٨)، (٤٩٠٢)، (٥١١٨)، (٥١٩٧)، (٥٥١١)، (٥٥١٣)، (٥٩٣٠)، (٦١٠٠)، د(٢٨٦٢)، ت(٩٧٤).

١٥٠٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالاً وَلَمْ يُوصِ، فَهَلْ يُكَفِّرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ ؟ قال: «نَعَمْ». م(١٦٣٠)، (٣٦٥٤)، (٤/٦٤٧٩- الكبرى).

١٥٠٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً، ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء. م(١٦٣٥)، د(٢٨٦٣)، ن(٣٦٢٣)، (٣٦٢٤)، (٦٤٤٨، ٤/٦٤٤٩- الكبرى)، جه (٢٦٩٥)، هق (٦/٢٦٦).

١٥٠٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أدرك شيخًا يمشي بين ابنيه يتوكأ عليهما. فقالَ: مَا شَأْنُ هَذَا ؟ قَالَ ابْنَاهُ: يَا رَسُولَ الله، كَانَ عَلَيْهِ نَذْرٌ فَقَالَ: «ارْكَبْ أَيُّهَا الشيخُ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكَ وَعَنْ نَذْرِكَ». م(١٦٤٣)، حم(٨٨٦٨)، جه(٢١٣٥).

١٥٠٦- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ اليَمِينِ».

م(١٦٤٥)، حم(١٧٣٠٣)، (١٧٣٢١)، (١٧٣٢٧)، د(٣٣٢٣)، (٣٣٢٤)، ت(٩٩٦٠).

١٥٠٧- عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي(١) وَلاَ بِآبَائِكُمْ». م(١٦٤٨)، حم(٢٠٦٤٨)، ن(٣٧٨٣)، (٣/٤٧١٥- الكبرى)، جه (٢٠٩٥).

١٥٠٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا

خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمينه». م(١٦٥٠)، ط(١٠٣٤)، حم(٨٧٤٢)، ت(١٥٣٠)، ن(٣/٤٧٢٢- الكبرى).

١٥٠٩- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حلَفَ عَلَى يَمينٍ ثُمَّ رَأَى أتْقَى للّـهِ مِنْهَا، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى».

م(١٦٥١)، حم (١٨٢٧٢)، (١٨٢٨٥)، (١٨٣٠١)، ن(٣٧٩٥)، (٤٧٢٨، ٣/٤٧٢٩- الكبرى)، جه (٢١٠٨)، حب (٤٣٤٥).

١٥١٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ». م(١٦٥٣)، حم(٧١٢٢)، (٨٣٨٦)، د(٣٢٥٥)، ت(١٣٥٤)، جه(٢١٢٠)، (٢١٢١).

١٥١١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ». م(١٦٥٧)، حم (٤٧٨٤)، (٥٢٦٦)، (٥٢٦٧)، د(٥١٦٨).

١٥١٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلاَ يُكَلَّفُ مِنْ الْعَمَلِ إلاَّ مَا يُطيقُ». م(١٦٦٢)، حم (٧٣٦٨)، (٧٣٦٩)، (٨٥١٨)، حب (٤٣١٣)، هق (٨/٦، ٨).

١٥١٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَنَعَ لأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ، وَقَدْ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْ فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلاً فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أَكلةً أَوْ أَكْلَتَيْنِ»(٢). متفق عليه واللفظ لمسلم، حم(٧٧٣٠)، د(١٣٨٤٦).

١٥١٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَدَّى العَبْدُ حَقَّ اللّـهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ كَانَ لَهُ أَجْرَانِ». م(١٦٦٦)، حم (٧٤٣٢)، (٩٠٧٦).

١٥١٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «نِعِمَّا لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يُتَوفَّى يُحْسِنُ عِبَادَةَ اللّـهِ وَصَحَابَةَ سَيِّدِه، نِعِمَّا بِهِ». متفق عليه واللفظ لمسلم، حم (٧٦٥٩).

١٥١٦- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً أَعْتَقَ سِتَّةَ مَمْلُوكِينَ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ غَيْرُهُمْ فَدَعَا بِهِمْ رسولُ الله ﷺ فَجَزَّأَهُمْ أَثْلاَثًا، ثُمَّ أَقْرَعَ بَيْنَهُمْ، فَأَعْتَقَ اثْنَيْنِ وَأَرَقَّ أَرْبَعَةً وَقَالَ لَهُ قَوْلاً شَدِيدًا. م(١٦٦٨)، حم(١٩٩٥٢)، (٢٠٠٢١)، د(٣٩٥٨)، (٣٩٥٩)، (٣٩٦٠)، (٣٩٦١)، ت(١٣٦٤).

١٥١٧- عن المسْوَرِ بنِ مخرمةِ قال: اسْتَشَارَ عمرُ بنُ الخطابِ النَّاسَ في مِلاَصِ(٣) المرْأَة، فقالَ المُغيرةُ بنُ شعبةَ: شَهِدتُ النبيَّ ﷺ قَضَى فيهِ بِغُرَّةٍ عَبْدٍ أَوْ أَمَة. م(١٦٨٣)، حم(١٨١٥٩)، د(٤٥٧٠)، جه(٢٦٤٠).

١٥١٨- عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأُتي بها النبي ﷺ، فعاذت بأُم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «وَاللّـهِ لَوْ كَانَتْ فاطمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». فقُطعَتْ.

م(١٦٨٩)، حم (١٥٢٤٩)، ن(٤٩٦٠٦)، (٤/٧٣٧٨- الكبرى).

١٥١٩- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللّـهُ لَهُنَّ سَبيلاً ؛ البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مِائةٍ ونَفْيُ سَنَةٍ، والثيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائةٍ وَالرَّجْمُ».

م(١٦٩٠)، حم(٢٢٧٢٩)، (٢٢٧٦٦)، (٢٢٧٧٨)، (٢٢٧٩٣)، (٢٢٧٩٨)، د(٤٤١٥).

الهوامش

١- الطواغي: هي الأصنام، واحدها طاغية.

٢- أكلة أو أكلتين: لُقمة أو لقمتين.

٣- ملاصُ المراة أو إملاص المرأة: هي المرأة التي يضرب بطنها فتلقي جنينها.

الشيعة الرافضة

تاريخ وحقائق

الحلقة الثانية

إعداد: د/ عبدالله شاكر الجنيدي

نائب الرئيس العام

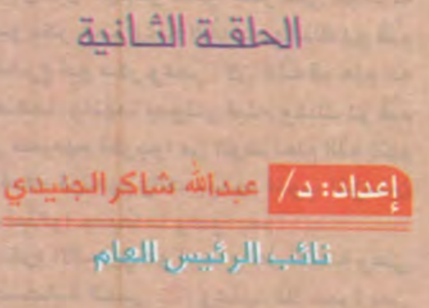

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه ربه رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد تحدثت في اللقاء السابق عن سبب تسمي الرافضة بهذا الاسم وأواصل في هذا اللقاء الحديث عن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ عند الرافضة، فأقول وبالله التوفيق:

أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ عند الشيعة الرافضة.

تذهب الشيعة الرافضة إلى القول بوجوب النص على الإمام، وأن النبي ﷺ نصَّ نصًا ظاهرًا وواضحًا على إمامة علي بن أبي طالب- رضي اللّه عنه- وأن كل واحد من الأئمة كان ينص على من بعده، ويضعون في ذلك روايات مكذوبة منها ما رواه الكليني عن أبي عبد اللّه جعفر الصادق أنه قال: «إن اللّه عز وجل أنزل على نبيه ﷺ كتابًا قبل وفاته، فقال: يا محمد، هذه وصيتك إلى النجبة(١) من أهلك، قال: وما النجبة يا جبريل ؟ فقال: علي بن أبي طالب وولده- عليهم السلام-، وكان على الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين- عليه السلام-، وأمره أن يفك خاتمًا منه ويعمل بما فيه، ففك أمير المؤمنين- عليه السلام- خاتمًا وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى ابنه الحسن- عليه السلام-، وهكذا كل واحد يدفعه لمن بعده...، ثم كذلك إلى قيام المهدي»(٢).

ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يوص لأحد بشيء من أمور الدين ؛ لأنه بلغ رسالته للعالمين كما أمره بذلك ربه في كتابه، وفي «البخاري» وغيره عن أبي جحيفة- رضي اللّه عنه- قال: قلت لعلي- رضي اللّه عنه-: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب اللّه ؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه اللّه رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة ؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»(٣).

ويذهب آية اللّه الزنجاني إلى أن الخلافة بالنص من اللّه تعالى على لسان رسوله، أو لسان الإمام المنصوب بالنص، إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده،

وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه اللَّه هاديًا مرشدًا لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه»(٤).

وروافض العصر الحاضر يقولون بما يقول به أئمتهم السابقون، فالخميني يقول: «إن النبي ﷺ استخلف بأمر من اللَّه من يقوم من بعده على هذه المهام»(٥).

بل يذهب إلى أبعد من هذا حين يذكر أن النبي ﷺ: «لولا تعيينه الخليفة من بعده لكان غير مبلغ رسالة ربه»(٦).

وهذه الأقوال التي سقتها ونسبتها لأصحابها من كتبهم مخالفة لما عليه جمهور المسلمين وصحابة النبي الأمين ﷺ. وقد أخرج البخاري وغيره عن ابن عمر- رضي اللَّه عنهما- أنه قيل لعمر- رضي اللَّه عنه-: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني: أبو بكر- رضي اللَّه عنه-، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني: رسول اللَّه ﷺ، فأثنوا عليه، فقال: راغب وراهب، وددت أني نجوت منها كفافًا لا لي ولا عليَّ، ولا أتحملها حيًا وميتًا»(٧).

قال ابن حجر في شرحه للحديث: «فيه الرد على من زعم من الرواندية(٨) أن النبي ﷺ نصَّ على العباس، وعلى قول الروافض كلها أنه نصَّ على عليٍّ، ووجه الرد عليهم إطباق الصحابة على متابعة أبي بكر، ثم على طاعته في متابعة عمر، ثم العمل بعهد عمر في الشورى، ولم يدَّعِ العباس ولا علي أنه ﷺ عهد له بالخلافة»(٩).

وقال النووي في شرحه للحديث: «وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ لم ينص على خليفة، وهو إجماع أهل السنة وغيرهم، وقالت الشيعة الرافضة: على عليٍّ- يعني نص على خلافة علي-، وهذه دعاوى باطلة، وجسارة على الافتراء، ووقاحة في مكابرة الحس، وذلك لأن الصحابة- رضي اللَّه عنهم- أجمعوا على اختيار أبي بكر وعلى تنفيذ عهده إلى عمر، وعلى تنفيذ عهد عمر بالشورى، ولم يخالف في هذا أحد، ولم يدَّع علي ولا العباس ولا أبو بكر وصية في وقت من الأوقات، وقد اتفق علي والعباس على جميع هذا من غير ضرورة دافعة لاجتماعهما على الخطأ واستمرارهما عليه، وكيف يحل لأحد من أهل القبلة أن ينسب الصحابة إلى المواطأة على الباطل في كل هذه الأحوال، ولو كان شيء لنقل فإنه من الأمور المهمة»(١٠).

قُلْتُ: ذهبت الرافضة إلى ذلك وطعنوا في الصحابة- كما سيأتي إن شاء اللَّه-، وذكروا عنهم أنهم اغتصبوا الخلافة، وأنهم أهل غدر وخيانة وتزوير، وأنهم تآمروا على إقصاء علي- رضي اللَّه عنه- عن الخلافة. وأنا أسأل الشيعة الرافضة فأقول لهم: هل يجوز أن يجمع المهاجرون والأنصار بما فيهم العشرة وأصحاب الشجرة على كتمان النص على عليٍّ؟ وهل ذكر علي- رضي اللَّه عنه- النص عليه بالخلافة لأبي بكر أو لعمر أو لغيرهما من الصحابة؟ سبحانك ربي إن هذا بهتان عظيم !!

وقد ذكر الأشعري أيضًا إجماع أهل السنة على ترتيب الخلفاء الراشدين كما وقع فيقول: «وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم على ما قال ﷺ: «خيركم قرني»، وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي- رضوان اللَّه عليهم-، وأن إمامتهم كانت عن رضىً من جماعتهم، وأن اللَّه ألف قلوبهم على ذلك لما أراده من استخلافهم جميعًا بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: الآية ٥٥].

فجمع اللَّه قلوب المؤمنين على ترتيبهم في التقديم، من قِبَل أنهم لو قدموا عمر على الجماعة لخرج أبو بكر عما وعده اللَّه به، وكذلك لو قُدِّم عثمان لخرج أبو بكر وعمر؛ لأن اللَّه قد علم أنه يبقى بعدهما، وأنهما يموتان قبله، وكذلك لو قُدِّم عليٌّ على جميعهم لخرجوا من الوعد لعلم اللَّه أنهم يموتون قبله، فرتبهم وألف بينهم قلوب المؤمنين على ذلك، لينالوا جميعًا ما وعدوا به»(١١).

وما ذكره الأشعري هو إجماع أهل السنة وعلى رأسهم صحابة النبي ﷺ، وعليه فلا عبرة بمن خالف سبيل المؤمنين وخرج على إجماع المسلمين، بل إن علي بن أبي طالب- رضي اللَّه عنه- يخالف الرافضة في القول بالنص عليه، ولم يدَّع ذلك لنفسه، وذلك كما جاء في حديث ابن عباس- رضي اللَّه عنهما-: «أن علي بن أبي طالب- رضي اللَّه عنه- خرج من عند رسول اللَّه ﷺ في وجعه الذي تُوفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد اللَّه بارئًا، فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له: أنت واللَّه بعد ثلاث

عبد العصا(١٢)، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يُتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنساله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسالها رسول الله ﷺ»(١٣).

فهذا نص واضح وصريح من أمير المؤمنين يبين أنه لا نص عليه، ولو كان عنده نص لوجب عليه أن يبينه ويذكره، كما أنه لم يسأل رسول الله ﷺ ذلك، ويفيد هذا النص أيضًا أن العباس- رضي الله عنه- ليس لديه نص على إمامة علي ولا غيره، وقد ساق الحافظ ابن كثير هذا الحديث وغيره كحديث الصحيحين: «خطبنا علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فقال: «من زعم أن عندنا شيئًا نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة فقد كذب»، ثم قال: «وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي- رضي الله عنه- يرد على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله ﷺ- أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما ردَّ ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع الناس لله ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته، ومن ظن بالصحابة أن يفتئتوا على رسول الله ﷺ فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنص، ومن ظن بالصحابة- رضوان الله عليهم- ذلك، فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور، والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ثم لو كان مع علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- نصٌ، فلِمَ لَمْ يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته وإمامته»(١٤).

قول الرافضة بأن الأئمة اثنا عشر إمامًا:

ثم قالت الرافضة بعد ذلك باثني عشر إمامًا من نسل علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، ومن هنا أطلق عليهم لقب «الاثنا عشرية»، ويعرفون أيضًا باسم الإمامية، وقد سموا بهذا الاسم بعد غيبة الإمام الثاني عشر- كما يزعمون-، إذ ليس هناك قبل غيبته ما يستدعي التسمية، وقد صرح بهذا الدكتور / عبد الله فياض وهو شيعي إذ يقول: «إن مصطلح الإمامية لم يصبح علما لفرقة من فرق الشيعة إلا بعد حصول غيبة الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين»(١٥)، وقد اعتبروا قولهم باثني عشر إمامًا ميزة انفردوا بها عن بقية المسلمين.

يقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء: «إن من أهم ما امتازت به الشيعة عن سائر المسلمين هو القول بإمامة الاثني عشر»(١٦).

وتعتقد الشيعة أن النبي ﷺ نص عليهم بأسمائهم، كما نص المتقدم منهم على من بعده، وهم على الترتيب التالي:

١- أبو الحسن علي بن أبي طالب.
٢- الحسن بن علي.
٣- الحسين بن علي.
٤- علي بن الحسين.
٥- محمد بن علي.
٦- جعفر بن محمد الصادق.
٧- موسى بن جعفر الكاظم.
٨- علي بن موسى.
٩- محمد بن علي.
١٠- علي بن محمد.
١١- الحسن بن علي العسكري.
١٢- محمد بن الحسن.

عصمة الأئمة عند الشيعة

عصمة الأئمة من أهم الأمور الدينية عند الشيعة، ولها صلة وثيقة بعقيدتهم، وقد اتفقوا على عصمتهم، وأنه لا تقع المعصية منهم، لأنهم جميعًا حجج الله، ولذلك فهم معصومون من الزلل(١٧)، بل إن الأئمة عند الشيعة الرافضة ليسوا معصومين من الكبائر والصغائر فقط، بل من كل شيء حتى السهو والنسيان.

يقول ابن أبي الحديد: «لا تجوز عليهم الكبائر ولا الصغائر، لا عمدًا ولا خطأ ولا سهوًا، ولا على سبيل التأويل والشبهة مثل الأنبياء»(١٨).

ويقول محمد رضا المظفر: «ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا»(١٩).

وقد أجمع السابقون منهم واللاحقون على هذه العقيدة الباطلة، يقول الخميني: «نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة- رضي الله عنهم- للفقهاء لا يزال محفوظًا لهم، لأن الأئمة لا يتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة المسلمين»(٢٠).

ويذهب ابن تيمية إلى أن ابن سبأ وراء القول بالعصمة فيقول: «وكذلك أول ما ابتدعت مقالة الغالية في الإسلام من جهة من كان قد دخل في الإسلام وانتحل التشيع، وقيل: أول من أظهر ذلك

عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًا فأسلم...، وابتدع القول بأن عليًا إمام منصوص على إمامته، وابتدع أيضًا القول بأنه معصوم أعظم مما يعتقده المؤمنون في عصمة الأنبياء»(٢١).

غلو الشيعة الرافضة في الأئمة

المقصود بالغلو: رفع بعض البشر فوق مرتبته التي خلقه الله عليها ؛ وقد يصل إلى إضافة صفة من صفات الألوهية إليه، والغلو بهذا المعنى لم يكن للعرب به عهد، سواء في جاهليتهم قبل الإسلام، أو في إسلامهم بعد ظهور الإسلام، وظل الأمر هكذا، حتى ابتليت أمة الإسلام بكيد اليهود، وتبنى عبد الله بن سبأ أيضًا إظهار الغلو في الأئمة ووصفهم بصفات رب البرية، وهذا الغلو نتيجة حتمية للقول بعصمة الأئمة، يقول القمي: «لما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعي علي وهو بالمدائن قالوا: إنا نعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه، كما قادهم بحجته، وإنه ليسمع النجوى»(٢٢).

ونحن نسأل هؤلاء فنقول لهم: من الذي يعلم السر والنجوى ويحيط بكل شيء علمًا ؟ والجواب: هو الله وحده دون سواه عالم الغيب والشهادة، وقد نسب الكليني زورًا وبهتانًا إلى جعفر الصادق أنه قال: «إن الدنيا والآخرة، للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله»(٢٣).

وحاشا جعفر الصادق أن يقول مثل هذا الكلام الذي يحمل في طياته الشرك بالله، ويخالف صريح نصوص القرآن كقول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النَّجم: الآية ٢٥]. وكقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٨].

وقال رجب البرسي الشيعي الإمامي في بعض وصفه للإمام: «هذا الخليفة الوارث لأسرار النبوة والإمامة والخلافة والولاية والسلطنة والعصمة والحكمة، هذا الخلق من الآيات الباهرات، والنجوم الزهرات، الذين لهم الحكم على الموجودات، والتصرف في الكائنات والاطلاع على الغيوب، والعلم بما في الضمائر والقلوب والإحاطة بالمخلوقات»(٢٤).

ويقول الخميني: «وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل...»(٢٥).

ومن المعلوم أن النبي ﷺ أفضل من غيره من الأنبياء والأولياء والأئمة، ومع هذا فقد نهى أمته عن الغلو فيه، فما هذا الغلو الذي ذكرته الرافضة في أئمتهم ؟ وهل يتفق شيء من ذلك مع دين رب العالمين؟

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «وقد بالغ القوم في موالاة علي وأولاده، وحبهم ومدحهم مبالغة جاوزوا فيها الحدود، وأسسوا عليها ديانتهم ومذهبهم، حتى صار مذهبًا مستقلاً ودينًا منفصلاً عن الدين الذي جاء به محمد الصادق المصدوق- صلوات الله وسلامه عليه- واخترعوا روايات كاذبة، واختلقوا أحاديث موضوعة، وقالوا: لا دين إلا لموالي علي وأولاده»(٢٦).

وللحديث بقية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

١- يعني الفضلاء.

٢- الكافي للكليني (١/٢٨٠).

٣- رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٧١ (١٦/١٦٧).

٤- عقائد الإمامية الاثنى عشرية للزنجاني ص(٢٨١، ٢٨).

٥- الحكومة الإسلامية ص(٢٣).

٦- الحكومة الإسلامية ص(٢٣).

٧- انظر البخاري مع الفتح (١٣/٢٠٥)، ومسلم (٣/١٤٥٤).

٨- الراوندية: نسبة إلى أبي الحسين أحمد بن يحيى الراوندي، توفي في القرن الثالث، كان معتزليًا، ثم فارقهم، وعده الأشعري في المقالات (١/١٢٧).

٩- فتح الباري (١٣/٢٠٨).

١٠- شرح النووي على مسلم (١٢/٢٠٥، ٢٠٦).

١١- رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري، ص(٣١٣- ٣١٦).

١٢- هذا كناية عمن يصير تابعًا لغيره، والمعنى: أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأمورًا عليك، وهذا من قوة فراسة العباس رضي الله عنه.

١٣- صحيح البخاري مع الفتح، المغازي، باب ٨٣ (٨/١٤٢).

١٤- البداية والنهاية (٥/٢٢١).

١٥- تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ص(٨٥).

١٦- أصل الشيعة ص(١٢٩).

١٧- مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٢١).

١٨- شرح نهج البلاغة (٧/١٢).

١٩- عقائد الإمامية ص(٥١).

٢٠- الحكومة الإسلامية ص(٩١).

٢١- جامع الرسائل والمسائل ص(٢٦٠- ٢٦٢).

٢٢- المقالات والفرق ص(٢١).

٢٣- أصول الكافي (١/٤٠٩).

٢٤- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص(١٠٢).

٢٥- الحكومة الإسلامية ص(٥٢).

٢٦- الشيعة وأهل البيت.

مختارات من علوم القرآن

فضائل ولطائف في سورة آل عمران

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما يزال حديثنا متصلاً حول فضائل ولطائف في سورة آل عمران، ونتحدث بإذن الله تعالى عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

والحب والمحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، يُقال: أحبه فهو محب، وَحَبَّهُ يَحِبُّهُ بالكسر فهو محبوب، قال ابن الدهان في حَبَّ لغتان: حَبَّ وأَحَبَّ. وقد فسرت المحبة لله سبحانه بإرادة طاعته، قال الأزهري: محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما، ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران.

وهذه الآية يسميها بعض السلف آية المحنة، يعني: آية الاختبار والامتحان، وذلك أن قومًا ادعوا أنهم يحبون الله، فأمر الله نبيه أن يتحداهم بهذا الميزان، وهو: إن كانوا صادقين فليتبعوا الرسول ﷺ سواء كانوا من اليهود أم من النصارى أم من المنافقين. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، إذا كانوا صادقين فليتبعوا الرسول.

كل يدعي أنه يحب الله، لأن الدعوى سهلة، فإذا كانوا يحبون الله حقًا فليتبعوا النبي ﷺ، لينالوا ما هو أعظم من دعواهم، وهو محبة الله لهم، ولهذا قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فالشأن ليس أن تُحِب بل الشأن أن تُحَب، أما أن تُحب ولا تُحَب، فهذا عذاب. انظروا إلى بريرة ومغيث: بريرة تبغض مغيثًا، ومغيث يحبها، فعُذب بحبها لما عتقت، خيرها النبي ﷺ، قال: «اختاري لنفسك». قالت: لا أريد الرجل، تعني: زوجها، فطلبت الخيار لنفسها والشرع يمكنها من ذلك، فكان زوجها يبكي وراءها في السوق في أروقة المدينة، يطلب ألا تختار نفسها، فجاء إلى النبي ﷺ وقال له: اشفع لي يا رسول الله عندها. فكلمها النبي ﷺ قال لها: «ارجعي إلى مغيث». قالت: يا رسول الله، إن كنت تأمرني، فسمعًا وطاعة، وإن كنت تشير عليَّ فلا حاجة لي فيه. قال: «بل أشير». قالت: لا حاجة لي فيه. (رواه البخاري).

يعني: أنها لم تقبل شفاعة النبي ﷺ ولم ترحم الرجل. قال الحافظ ابن كثير: الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله عز وجل ولم يتبع محمدًا ﷺ في شرعه وطريقه وسنته، فإنه كاذب في دعواه ولتكون دعواه صحيحة يجب عليه اتباع الشرع المحمدي، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم ما طلبتم

من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم وأجل من الأول.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: بسبب اتباعكم الرسول ﷺ تحصل لكم هذه المغفرة والرحمة من بركة الاقتداء به ﷺ.

والله تعالى قد جعل محبته موجبة لاتباع رسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله، وليس شيء يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه، وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا والله يحبه، فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين، بل هذا هو هذا في ذاته، وإن تنوعت الصفات.

فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب، وليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك، فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب، فكانوا يتبعون الرسول، فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين.

وهكذا أهل البدع، فمن قال: إنه من المريدين لله المحبين له، وهو لا يقصد اتباع الرسول، والعمل بما أمر به، وترك ما نهى عنه، فمحبته فيها شوب (خلط) من محبة المشركين واليهود والنصارى، بحسب ما فيه من البدعة، فإن البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله، فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله، فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر.

وقال الشيخ الألباني تعليقًا على هذه الآية: واعلم أيها الأخ المسلم: أنه لا يمكن لأحد أن يرقى إلى هذه المنزلة من الحب لله ورسوله إلا بتوحيد الله تعالى في عبادته دون سواه، وبإفراد النبي ﷺ بالاتباع دون غيره من عباد الله، لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني». قلت: فإذا كان مثل موسى كليم الله لا يسعه أن يتبع غير النبي ﷺ، فهل يسع ذلك غيره؟ فهذا من الأدلة القاطعة على وجوب إفراد النبي ﷺ في الاتباع، وهو من لوازم شهادة «أن محمدًا رسول الله»، ولذلك جعل الله تبارك وتعالى في الآية المتقدمة اتباعه ﷺ دون سواه دليلاً على حب الله إياه. ومما لا شك فيه أن من أحبه الله كان الله معه... كما في الحديث القدسي الصحيح: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه». وإذ كانت هذه العناية الإلهية إنما هي بعبده المحبوب من الله، كان واجبًا على كل مسلم أن يتخذ السبب الذي يجعله محبوبًا عند الله؛ ألا وهو اتباع رسول الله ﷺ دون سواه، ألست ترى أنه لا سبيل إلى معرفة الفرائض وتمييزها عن النوافل إلا باتباعه ﷺ وحده؟ وأن مما لا شك فيه أن المسلم كلما كان بسيرة رسول الله ﷺ أعلم، وبمحاسنه وفضائله أعرف، كان حبه إياه أكثر، واتباعه إياه أوسع وأشمل، ثم قال: إذا عرفت ما سبق بيانه أن حب الله لا يُنال إلا باتباع نبيه ﷺ فاحرصْ إذًا على اتباع سُنته كلَّ الحرص، وأنفق في سبيل ذلك كل جهاد ونفس، ولا تغتر بما عليه بعض الضالين المغرورين إلى أن قال: والخلاصة: إنني أنصح كل من قرأ هذه الرسالة أن لا يقف عند العلم بما فيها وإنما يتبع ذلك بالثمرة المرجوة، ألا وهي إخلاص الاتباع لهذا الرسول العظيم المستلزم لحب الله إياه، ومغفرته لذنوبه: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم. اهـ.

وقال العلامة الشنقيطي في أضواء البيان: ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله ﷺ هي اتباعه، فالذي يخالفه ويدّعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر، إذ لو كان محبًا له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة، ومنه قول الشاعر:

لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

والخطاب في الآية للرسول ﷺ إذا وجه إليه بـ «قل» في القرآن فهو دليل على العناية بهذا القول الذي أمر أن يقوله، لأن هذا أمر بالتبليغ الخاص لهذا القول، أما القرآن كله فقد أمر أن يقوله كله، لكن بعض الأشياء- يُخص بـ «قل» مثل ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وما أشبه ذلك، فهذا أمرٌ بتبليغ هذا الشيء الخاص بعينه فيكون في ذلك توكيدًا ودليلاً على العناية به، وهذه لا شك يجب الاعتناء بها.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾: أي: قل لمن ادعى أنه يحب الله، والجملة هنا شرطية، وفعل الشرط «كنتم»، وجوابه: «فاتبعوني»، وجاءت الفاء في الجواب لأنه جملة طلبية، وإذا كانت جملة الجواب طلبيةً وجب اقترانها بالفاء، وقوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ أي: على ما أنا عليه من الشريعة، عقيدةً وقولاً وفعلاً وتركًا.

عقيدة: بحيث تكون عقيدته على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه لا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ولا شك ولا تردد، بل إيمان كامل خال من جميع الشوائب، وقولاً: لا يزيد ولا ينقص عما جاءت به الشريعة من الأقوال.

وفعلاً: كذلك لا يزيد ولا ينقص.

وتركًا: بحيث يترك ما لم يعمله الرسول عليه الصلاة والسلام، فكل ما لم يتعبد به الرسول يجب أن لا يتعبد به، فإن تعبد به ثم يقول إنه يحب الرسول فإن دعواه كاذبة، لو كنت تحبه حقًا لاتبعته حقًا.

فمن اتبع الرسول ﷺ بهذه الأربعة صدق في اتباعه، ومن خالف فهو غير صادق. ولذا نجد الإنسان من بني آدم إذا أحب شخصًا غير الرسول، تجده يترسم خطاه، يعجب به وينظر ماذا يفعل ليفعله.

قال تعالى: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ هذه الثمرة الأولى: والنتيجة التي يسعى إليها كل إنسان أن يكون محبوبًا لدى الله سبحانه وتعالى، والثانية: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

فهما فائدتان عظيمتان: محبة الله لك ومغفرة ذنوبك.

وقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي كل ما عملتم من الذنوب يغفرها لكم، ولكن هل نقول: إنه يغفر وإن لم يستغفر الإنسان منه ؛ لأن حسنة الاتباع تمحو هذا الذنب، ومحبة الله للإنسان توجب عدم عقوبته، أو نقول: «ويغفر لكم ذنوبكم» بأن ييسر لكم أسباب المغفرة إن لم يغفر لكم بدون سبب، يحتمل أنه سبحانه وتعالى أراد أنه يغفر الذنوب بسبب هذا الاتباع والمحبة، أو أنه وإن فعل الإنسان ما فعل فإنه ييسر له أسباب المغفرة بأن يعود من معصية الله إلى طاعته، والله أعلم.

لكن على كل حال الوعد هنا محقق، وهو مغفرة الذنوب إما بسبب من العبد أو بمحض فضل الله.

وقوله: «ذنوبكم» الذنب هو المعصية، وهو كما ترون جمع مضاف لمعرفة، والجمع المضاف إلى معرفة يفيد العموم.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: الجملة اسمية اشتملت على ثلاثة أسماء من أسماء الله: الله، الغفور، والرحيم، وأما معنى (لفظ الجلالة) «الله» فقد سبق أنه المألوه المعبود حبًا وتعظيمًا، وأن أصل (الله) الإله، فحذفت الهمزة تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وأما الغفور: فالغفور هنا يحتمل أن يكون صيغة مبالغة، ويحتمل أن يكون صفة مشبهة، لأن الله لم

يزل ولا يزال غفورًا، وصيغة مبالغة لكثرة من يغفر له من الخلق وكثرة ما يغفره من الذنوب.

والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه، وليست مجرد الستر لوجهين لغوي وسمعي.

أما اللغوي: فلأن المغفرة مأخوذة من المِغْفَر الذي يستر به المقاتل رأسه ويتقي به السهام، والمغفر جامع للستر والوقاية.

وأما السمعي فلما ورد في كيفية محاسبة الله لعبده المؤمن أن يخلو به ويقرره بذنوبه، فيقول: «قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم».

رواه البخاري.

وأما الرحيم: فهو ذو الرحمة، وهو صالح أيضًا لأن يكون صفة مشبهة أو صيغة مبالغة، والرحمة: صفة تقتضي العطف والإحسان على المرحوم، والجمع بينهما بين الغفور والرحيم، لفائدة عظيمة: وهي الجمع بين الوقاية والعناية، بين الوقاية بالمغفرة يقيه الله سبحانه وتعالى شر الذنوب، والعناية بالرحمة، يعتني الله بك فييسرك لليسرى ويجنبك العسرى.

من فوائد الآية الكريمة:

١- أن الله أمر نبيه محمداً ﷺ أن يتحدى هؤلاء المدعين لمحبته بهذا الميزان القسط وهو اتباعهم للرسول ﷺ.

٢- جواز مخاطبة المدعي بالتحدي لأن هذا هو الحق، لأنه لو كان يعرف نفسه ما ادعى اتصافه بشيء لم يتصف به، فهو الذي أذل نفسه في الواقع فلا تخش من تحديه ليقيم الدليل والبرهان على دعواه.

٣- أنها مصداق لقول النبي ﷺ: «البينة على المدعي». رواه الترمذي.

وهذه وإن كانت في دعوى الناس بعضهم مع بعض لكنها في الحقيقة قاعدة عامة، فكل مدَّعٍ لا بد أن يقيم بينة على دعواه.

٤- أن محبة الله تعالى غاية لكل الناس حتى من غير المؤمن لقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾.

٥- أنه كلما قوي اتباع الإنسان للرسول ﷺ كان أقوى برهانًا على صدق محبته له، فهذه من علامة محبة الإنسان لربه، فإذا رأيت الإنسان شديد الاتباع لرسول الله ﷺ فاعلم أنه شديد المحبة لله.

٦- أن اتباع النبي ﷺ سبب لمحبة الله للعبد لقوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

٧- الثمرة الجليلة باتباع رسول الله ﷺ وذلك بمحبة الله للعبد.

٨- أن الجزاء من جنس العمل، لقوله: «فاتبعوني» حيث جعل الاتباع برهانًا على صدق دعوى المحبة، وجعل الجزاء من جنسها، أن الله يحب العبد.

٩- أن اتباع الرسول سبب لمغفرة الله للذنب، لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

١٠- كما أن إحسان الله سبحانه وتعالى لجزائه على العمل أكثر منه، لأن الذي يتبع الرسول يحصل له محبة الله ومغفرة الذنوب.

١١- إثبات هذين الاسمين وما تضمناه من صفة في قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ففيهما إثبات الاسمية لله في هذين الاسمين، والثاني إثبات الصفة التي تضمناها، ومن المعلوم أن كل اسم من أسماء الله يدل على معناه الخاص به، لكن اجتماع الاسمين يدل على معنى ثالث، وهو: الجمع بين مغفرة الغائب من الذنوب والرحمة بالعناية بالفضائل، لأن المغفرة مقابل الذنوب، والرحمة مقابل العناية بالإنسان، إن الله تعالى يرحم الإنسان، فيحصل من اجتماع هذين الاسمين صفة ثالثة، وهي جمع الرب سبحانه وتعالى بين الإحسان والوقاية من الذنوب وآثارها بالمغفرة.

والحمد لله رب العالمين.

أيوب

«عليه السلام»

المحـــــور الأول

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد: فإلى الذين عرفوا ربهم حق المعرفة فعبدوه حق العبادة شكرًا في الرخاء وصبرًا في الضراء، إلى الذين ابتلاهم الله فصبروا فصارت المحنة في حقهم منحة وانقلبوا بنعمة من الله وفضل، إلى أهل الصبر الجميل الذي لا يشكو فيه المؤمن ربه إلى خلقه. نُقدم اليوم هذه القصة التي جعلها القرآن الكريم مثلاً يحتذى للصابرين المحتسبين وللعابدين المخلصين، فقال سبحانه تعقيبًا وتذكيرًا ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ تعقيبًا على قصة أيوب- عليه السلام- الأولى في سورة الأنبياء والثانية في سورة (ص)، وهكذا جعل الله- سبحانه- هذه القصة ذكرى لأولي الألباب وهم العابدون الذين عرفوا الله- سبحانه- فعبدوه ولزموا طاعته مخلصين له الدين في جميع أحوالهم.

ونحن اليوم نقدم هذه القصة للقارئ الكريم على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: عرض للقصة من كتاب الله ومما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ.

القسم الثاني: دفع شبهات وأباطيل كَثُر تناولها في هذه القصة.

القسم الثالث: الفوائد الإيمانية والعبر المستفادة.

القسم الأول

تحت هذا القسم ننظر في المسائل الآتية:

١- نسب أيوب- عليه السلام-: هو أيوب بن موص بن زارح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم (خليل الرحمن).

٢- زمنه: نقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن الطبري أنه كان بعد شعيب. ونقل عن أبي خيثمة: أنه كان بعد سليمان.

٣- ذكره في القرآن الكريم:

جاء ذكره في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

- أشار في موضعين منها إلى دخوله فيمن أوحى إليهم من الأنبياء والمرسلين:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، فأيوب من الأنبياء ومن ذرية إبراهيم (عليه السلام) حيث يعود الضمير إليه في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي من ذرية إبراهيم الآتي أسماؤهم من الأنبياء والمرسلين، وهو داخل في

جملة من أوحى الله إليهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ ﴾ [النساء: ١٦٣]، فهو نبي من أنبياء بني إسرائيل ومن نسل إبراهيم الخليل.

قال ابن كثير- رحمه الله-: «فالصحيح أنه من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم.

- وامرأته: قيل اسمها ليا بنت يعقوب- وهذا بعيد- وقيل: رحمة بنت أفرائيم، وقيل ليا بنت منشا بن يوسف بن يعقوب». اهـ.

ولعل: ليا بنت منشا هي بنت يعقوب، واختصر المؤرخون اسمها، والله أعلم.

هذا ما يثبت نبوة أيوب خلافًا لمن زعم غير ذلك.

- وأشار القرآن الكريم إلى قصته إشارتين في موضعين: إحداهما مجملة والأخرى مفصلة، فالأولى في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

أما الثانية فقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤١- ٤٢].

٤- ما جاء عن قصة أيوب في السنة الصحيحة:

أقول في السنة الصحيحة لأن هناك نقولاً كثيرة ومطولة نقلها أهل التفاسير والسير وجلُّها منقول دون تمحيص عن بني إسرائيل، وقد نحيناها جانبًا، وسنفرد للرد عليها فصلاً مستقلاً لكثرة شيوعها وانتشارها بين القصاص قديمًا وحديثًا، والله المستعان(١).

أما ما صحَّ فنورد هنا حديثين أحدهما في البخاري والآخر في غيره، لكن صححه أهل العلم، وذكره الحافظ في الفتح، وقال: هذا أصح ما جاء في قصة أيوب كما أورده الألباني في السلسلة الصحيحة وذكر تصحيحه عن الضياء المقدسي وابن حبان، وإليك نص الحديث: عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن نبي الله أيوب- عليه السلام- لبث بلاؤه ثماني عشرة سنة (وفي رواية ثلاث عشرة سنة) فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك ؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقولان، غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما، كراهية أن يذكر الله إلا في حق. قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحى الله إلى أيوب: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ فاستبطأته، فتلقته تنظر وقد أقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحًا، فقال: إني أنا هو، وكان له أندران (بيدران)(٢) أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرعت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض ». اهـ.

أما الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «بينما أيوب يغتسل عريانًا خرَّ عليه رجل جراد(٣) من ذهب فجعل يحثى في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب لم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك».

هذه النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة قدمت صورة مجملة لقصة أيوب وقد ضاق الوقت لمزيد من التفصيل، وسوف نفصل ذلك في لقاء قادم، إن شاء الله والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الهوامش:

١- قد رأينا إفراد فصل مستقل تحت عنوان المحور الثاني لأنه قد جاء في تلك الأخبار الواهية والموضوعة أمور تنافي مقام النبوة ومنهم أيوب عليه السلام.

٢- البيدر: هو المكان الفسيح الذي يوضح فيه القمح أو الأرز، يعني (الجرن).

٣- رجل من جراد: سرب من جراد.

من الآداب الإسلامية

الحلقة السابعة

السلام: التحية المباركة الطيبة

السلام على الفسقة والعصاة

إعداد/ **سعيد عامر**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

▫▫ أولا: مفهوم الفسق والمعصية ▫▫

الفسق لغة: الخروج عن الطاعة، وعن الدين، وعن الاستقامة.

وفي الأصل: خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد، يُقال: فسق الرطب إذا خرج عن قشره.

والفسق في الاصطلاح: هو الخروج عن الطاعة وتجاوز الحد بالمعصية.

ويقع الفسق بقليل الذنوب وكثيرها إذا كانت كبائر، وقد يكون الفسق شركًا، وقد يكون إثمًا، وغالبًا ما يقال لمن التزم حكم الشرع وأقر به، ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه. «الموسوعة الفقهية ٣٢/١٤٠».

قال الشوكاني ناقلاً عن القرطبي: الفسق: الخروج عن طاعة الله عز وجل، فقد يقع على من خرج بكفر، وعلى من خرج بعصيان، وفي حديث الصحيحين: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». (راجع فتح القدير ١/ ٥٦، ٥٧)، والفسق تارة يكون بترك الفرائض، وتارة بفعل المحرمات، والفسق تارة يكون بالاعتقاد، كالقدري والجبري... إلخ، والفسق بالجارحة ؛ كمن يشرب الخمر أو يزني. إلخ.

▫▫ ثانيا: مفهوم المعصية ▫▫

المعصية لغة: الخروج عن الطاعة، يُقال: عصاه معصية وعصيانًا: خرج عن طاعته وخالف أمره فهو عاص.

والمعصية في الاصطلاح: اسم لفعل حرام مقصود بعينه.

وقسم العلماء المعاصي إلى صغائر وكبائر، قال تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ «الحجرات: ٧»،

وقال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ «النجم: ٣٢»، وقال الله عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ «النساء: ٣١»، الآيات فيها التصريح في انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر.

روى مسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات». وروى الطبراني في المعجم الكبير وقال الهيثمي رجاله موثقون: «الكبائر سبع». وفي رواية: «تسع».

وروى مسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مُكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

فالأحاديث خصت الكبائر ببعض الذنوب، ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يسغ ذلك.

وبعض العلماء قالوا: سائر المعاصي كبائر، والمعاصي كلها كبائر، وما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها. راجع الزواجر عن اقتراف الكبائر (٤١٨).

كما يقال: الزنا صغيرة بالنسبة إلى الكفر، والقبلة «المحرمة صغيرة» بالنسبة إلى الزنا، وكلها كبائر.

قال الزركشي: لعل أصحاب هذا الوجه كرهوا تسمية معصية الله صغيرة إجلالاً لله وتعظيماً لأمره. «راجع البحر المحيط ٤/٢٧٦».

وبعض العلماء قسم المعاصي إلى ثلاثة أقسام صغيرة وكبيرة وفاحشة، فقتل النفس بغير حق كبيرة، فإن قتل ذا رحم ففاحشة، فأما الخدشة والضربة مرة أو مرتين فصغيرة. المرجع السابق. والرأي الأول هو الراجح.

وللناس في فعل الطاعات واجتناب المعاصي أحوال.

منهم من يستجيب إلى فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصي، وهذا أكمل أحوال أهل الدين.

ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات ويُقدم على ارتكاب المعاصي، وهي أخبث أحوال المكلفين.

ومنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويُقدم على ارتكاب المعاصي.

ومنهم من يمتنع عن فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي. راجع ذلك بالتفصيل في «أدب الدنيا والدين للماوردي» (١٥٠- ١٥٨).

ومن رحمة الله بعباده أن جعل للإنسان فرجًا ومخرجًا من تلك الذنوب بالتوبة النصوح، يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية: إذا وقع العبد المؤمن في المعصية، فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا. اهـ.

قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

«البقرة: ١٦٠».

وقال عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ «مريم: ٥٩، ٦٠».

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ «الزمر: ٥٣».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ «هود: ١١٤».

فالتوبة عن المعصية فريضة على الفور، صغيرة كانت أو كبيرة، بل تجب التوبة عن تأخير التوبة: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ «النور: ٣١». وهي أول منازل السالكين.

فلا يجوز الإصرار على المعصية، كما لا يجوز المجاهرة بالمعاصي، فهذا منهي عنه، ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره الله ويصبح يكشف ستر الله عنه».

ثالثًا: التودد إلى العاصي

أهل العلم على أنه لا يجوز التودد للعاصي لأجل معصيته، ولا الجلوس معه وهو يرتكب شيئًا من المعاصي إيناسًا ومجاراة له، قال عز وجل: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ «هود: ١١٣». وروى الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي».

وروى الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

وذهب بعض أهل العلم في مجال المعاملة مع أصحاب المعاصي إلى المقاطعة بالكلية، واستدلوا بحديث كعب بن مالك وهجران النبي ﷺ وأصحابه لكعب وصاحبيه خمسين ليلة لا يكلمون كعبًا، ولا يردون عليه سلامًا، لتخلفه عن الغزوة بغير عذر.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ «الأنعام: ٦٨». فقالوا: باعتزال أصحاب المعاصي نهائيًا، وعدم الكلام والجدال

والمناقشة معهم.

وذهب فريق من أهل العلم: إلى جواز الكلام والحوار والمناقشة والتعامل معهم، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ «العنكبوت: ٤٦»، وقال عز وجل: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ «النحل: ١٢٥»، إلى غير ذلك من الآيات.

وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة»، فلما جلس تطلق له النبي ﷺ في وجهه وانبسط له، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، متى عهدتيني فاحشًا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره».

وقد ذهب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج- وهم شر الناس- وجادلهم، حتى رجع منهم الكثير إلى صفوف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، إلى غير ذلك من الآثار عن السلف الكرام.

رابعًا: حكم السلام على الفسقة والعصاة

جمهور العلماء ذهبوا إلى أنه لا يسلم على المبتدع ولا على من ارتكب كبيرة ولم يتب منها، وذلك زجرًا له وتأديبًا له، حتى تتحرك قلوبهم إلى التوبة والعودة إلى الله.

ذكر ابن عابدين: أن السلام على الفاسق المجاهر بفسقه مكروه، وإلا فلا، ومثل الفاسق في هذا لاعب القمار وشارب الخمر والمغني والمغتاب حال تلبسهم بذلك... إلخ.

وذكر المالكية: أن ابتداء السلام على أهل الأهواء مكروه، كابتدائه على اليهود والنصارى.

وذكر النووي في الأذكار أن المبتدع ومن اقترف ذنبًا عظيمًا ولم يتب منه ينبغي ألا يُسلم عليهم، ولا يُرد عليهم السلام.

ولو فعل الناس ذلك لاستحى أصحاب المعاصي ولضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ولكن الخطأ الكبير أن يترك أهل الفسق، ولا يرى ولا يسمع من ينكر عليهم ويحذرهم، ولذلك يستمرون في الغواية والضلال.

فالذين يشربون الخمور ويتعاطون المخدرات والذين يمارسون الفواحش والعاق لوالديه، والقاطع لرحمه، والسارق... إلخ. على المجتمع أن يؤدب هؤلاء بعدم التهاون معهم مهما بلغوا من مناصب، وبالإنكار عليهم، وفي ذلك ما يشعرهم بالخسة والمهانة والصغار، وأما السلام فلا يستحقون لما فيه من تعظيم وتبجيل وتوقير وتقدير، وهم ليسوا أهلاً لذلك.

قال الإمام النووي: فإن اضطر إلى السلام على الظلمة، بأن دخل عليهم وخاف ترتب مفسدة في دينه أو دنياه أو غيرهما إن لم يسلم، سلم عليهم، وذكر أبو بكر بن العربي أنه يسلم وينوي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، فيكون المعنى: الله عليكم رقيب، ومطلع على ذنوبكم فاحذروه، فإن تابوا عدنا إلى تكريمهم وتوقيرهم بالسلام والكلام، ورددنا عليهم التحية بأحسن منها أو بمثلها.

وقال الإمام أحمد فيمن يلعب بالشطرنج: ما هو أهل أن يُسلم عليه، كما لا يسلم على المتلبسين بالمعاصي، ويرد عليهم إن سلموا، إلا أن يغلب على ظنه انزجارهم بترك الرد.

(راجع الموسوعة الفقهية /٢٥ ١٦٧،١٦٨).

وأما ابن وهب فأجاز ابتداء السلام على كل أحد، وإن كان فاسقًا ؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، ولكن الدليل أعم من الدعوى، وقد صحت الأدلة في عدم السلام عليهم كما سبق، والله أعلم، وللحديث بقية.

وصلى الله على خير البرية.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الكلمة الطيبة صدقة

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾

«الإسراء: ٥٣».

من هدي رسول الله ﷺ

تصدق عن أعضاء بدنك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة». «متفق عليه».

ومعنى: السلامى: هي الأنملة من انامل الأصابع التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان. بمعنى أنه على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة.

من دلائل النبوة

الله يدافع عن رسوله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا». «رواه مسلم».

من فضائل الصحابة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: إن جبريل جاء بصورتها أي (عائشة رضي الله عنها) في خرقة حرير خضراء إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. «رواه الترمذي».

من دعائه ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه قال وهو خارج لصلاة الفجر: «اللهم اجعل في بصري نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في لساني نورًا، واجعل في قلبي نورًا، واجعل عن يميني نورًا واجعل عن شمالي نورًا، واجعل من أمامي نورًا، واجعل من خلفي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، واجعل من أسفل مني نورًا، واجعل لي يوم ألقاك نورًا، وأعظم لي نورًا». «رواه أبو داود».

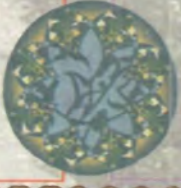

حكم ومواعظ

عن صالح بن عبد الكريم، قال: مثل القلب مثل الإناء إذا ملأته، ثم زدت فيه شيئًا فاض، وكذلك القلب إذا امتلأ من حب الدنيا لم تدخله المواعظ.

عن عبد الله بن عمرو قال: أربع خلال إذا أعطيتهن فلا يضرك ما عزل عنك من الدنيا: حسن خليقة، وعفاف طعمة، وصدق حديث، وحفظ أمانة. «الأدب المفرد».

إعداد/ علاء خضر

شهادة الأشعري

قال أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه وتوبته: ومما يؤكد أن الله عز وجل مستوٍ على عرشه دون الأشياء كلها، ما نقله أهل الرواية، عن جبير، عن أبيه رضي الله عنهم أجمعين، أن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر». وساق أدله أخرى من الكتاب والسنة. ثم قال: فكل ذلك يدل على انه تعالى منفرد بوحدانيته، مستوٍ على عرشه استواءً منزهًا عن الحلول والاتحاد. «الإبانة عن أصول الديانة».

من آداب الصحبة

عن وكيع بن الجراح قال: اعتل سفيان الثوري فتأخرت عن عيادته، ثم عدته فاعتذرت إليه، فقال لي: يا أخي لا تعتذر؛ فقلَّ من اعتذر إلا كذب، واعلم أن الصديق لا يحاسب على شيء و العدو لا يحسب له شيء. «شعب الإيمان».

من أخلاق السلف

عن عبيد بن الوسيم الجمال، قال: أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا فأمر بالموائد فنصبت، ثم قال: لا حتى تصيب من طعامنا فيجب علينا حقكم وذمامكم. قال: فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة الاف درهم في قضاء دينه وخمسة الاف درهم نفقة لعياله. «مكارم الأخلاق».

من معاني اللغة

ثُمَّ: حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي، قد يلحقه التاء فيكتب ثُمَّت.

أما: ثَمَّ فظرف مكان بمعنى هنا أو هناك، تدخل عليه (من)، فيقال من ثَمَّ، أي: مِن هنا، والخطأ أن تقول: من ثُمَّ بضم الثاء، وتلحقه التاء، فيكتب: ثَمَّة.

من حكمة الشعر

قال الشافعي عن الصمت:

قالوا سكتَّ وقد خوصمت قلت لهم
إنّ الجواب لباب الشرّ مفتاحُ
والصمتُ عن جاهلٍ أو أحمقٍ شرفٌ
وفيه أيضًا لصونِ العرض إصلاحُ
أما ترى الأسدَ تخشى وهي صامتةٌ
والكلبُ يُخسى لعمري وهو نباحُ

«الشافعي من صحيح اللغة».

اتبعوا
ولا تبتدعوا

جهاد وتضحيات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن الأنبياء والمرسلين بعثوا من أجل الدعوة إلى الله عز وجل، الدعوة إلى الله بتقواه، الدعوة إلى الله بتوحيده، الدعوة إلى الله باتباع رسوله ﷺ، الدعوة إلى الله بأن تطلب مرضاة الله، وأن تبتعد عن مساخطه، ولهذا حرص الأنبياء والمرسلون جميعًا من لدن آدم وهو أول الأنبياء ونوح وهو أول الرسل، إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام، على البذل والتضحية في سبيل هذه الدعوة ؛ امتثالاً وحضًا على نشر ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال التي هي سبيل الدعوة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قال الحسن البصري رحمه الله: في هذه الآية لما تلاها: هذا حبيب الله، هذا ولي الله أجاب الله في دعوته ودعى الناس إلى ما أجاب الله إليه من دعوته، هذا ولي الله، هذا صفي الله.

وقال الإمام أحمد: «وددت أن الخلق أطاعوا الله وأن جسمي قرض بالمقاريض».

هذا يبين لك عظمة فقه أئمة الدين بالقرآن وسنة النبي الأمين ﷺ وحرصهم الشديد على نشر الدعوة والبذل في سبيلها وأن يطيع الخلق ربهم جل وعلا، فالدعوة إلى الله عز وجل مقام عظيم وشرف كبير ومنزلة رفيعة اختص الله بها الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم في هذا السبيل، ولهذا قص الله تعالى علينا في القرآن الكريم سيرهم، منبهًا على أنهم كانوا دعاة إلى الله عز وجل.

◘◘ الأنبياء في موكب الدعوة ◘◘

١- هذا نوح عليه الصلاة والسلام أول الرسل لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا﴾ [نوح: ٥، ٦]، فدعاهم ولم ييأس، ولم يتواكل، بل كان مقبلاً على هذا السبيل ليلاً ونهارًا، وكانت النتيجة ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا﴾، وكان الملأ يسخرون منه ويستهزئون به وبدعوته، قال تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]، ولكن نوحًا عليه السلام كان على ثقة من نصر الله وتأييده إياه، فقال لقومه الذين سخروا منه: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨، ٣٩]، فقالوا له متحدين: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وقالوا مهددين له: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ أي: من المقتولين رجمًا بالحجارة، فما ترك دعوته وما زال يدعو إلى الله عز وجل، وما زاده ذلك إلا ثباتًا على الطريق حتى فتح الله بينه وبين قومه، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

٢- وهذا إبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى الله عز وجل، فناظرهم كما قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

الْمُوقنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٧٩]، قال أهل العلم: كان إبراهيم عليه السلام مناظرًا للمشركين بما ذكر لا ناظرًا في الملكوت أو في الدلائل، لهذا قال أهل العلم: إن إبراهيم كان في هذه الآيات وما قاله داعيًا إلى الله عز وجل بالمناظرة والمحاجة، لهذا قال في آخرها: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

[الأنعام: ٨٣].

فإبراهيم عليه السلام دعا إلى الله عز وجل بالمناظرة والمجادلة، وبذل في سبيل ذلك ما بذل، فدعا أباه وقومه، فآمن به من آمن، وكان من أعظم من آمن لوط، عليه السلام، ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾

[العنكبوت: ٢٦].

فماذا صنع قوم إبراهيم وهو يأمرهم وينهاهم ويدعوهم إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾، فمضى في سبيل دعوته لم يثنه ذلك عن عزمه، بل أزال منكرهم بيده، فغدا إلى أصنامهم فكسرها، ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾، فلما رجعوا إلى أصنامهم ورأوا ما حدث لها، طلبوا أن يُؤتى بإبراهيم على أعين الناس، وجاء إبراهيم عليه السلام، وقال لهم موبخًا: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُمْ... ﴾

[الأنبياء: ٦٦].

فعزموا على تنفيذ ما هددوه به، ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾، فأضرموا نارًا عظيمة، وألقوه فيها، ولكن الله عز وجل خالقها والذي بيده ملكوت كل شيء قال لها: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، فكانت بردًا لا حر فيها، وسلامًا لا أذى فيها، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا من نبي الله شيئًا.

إعداد/ معاوية محمد هيكل

وموسى عليه السلام دعا فرعون- المتكبر الجبار- إلى الله عز وجل، فقال له: ﴿ إِنِّي رَسُولُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقال فرعون ساخرًا منه ومن دعوته: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ وقال لملئه: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، ثم توعد موسى قائلاً: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾، فهل خاف موسى من ذلك، وهل وهنت عزيمته عن دعوته إلى الله عز وجل ؟ كلا، بل مضى يبين لفرعون من الآيات ما يهتدي به أولو الألباب، ومع ذلك استمر فرعون في غيه واستكباره، وقال مهددًا موسى بالقتل متحديًا له: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾، وقال لوزيره «هامان» ساخرًا بالله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، ولكن موسى عليه الصلاة والسلام صبر على كل ما لاقاه من فرعون وقومه، فكانت النتيجة أن أغرق الله عز وجل فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾

[الدخان: ٢٤-٢٩].

وهذا عيسى عليه السلام أوذي من جانب اليهود فكذبوه، ورموا أمه بالبغاء (أي: الزنا)، فقالوا عن مريم- وحاشاها مما قالوا-: زانية، وعزموا على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام، واجتمعوا عليه، فألقى الله - عز وجل - شبهه على رجل، فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ

رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

وكذلك نبي الله يوسف- عليه السلام- في جميع أحواله التي تقلب فيها منذ أن كان في بيت العزيز وما حصل له فيه، إلى أن مكنه الله عز وجل وقدم عليه أبوه وأمه وإخوانه، كان في كل هذه المقامات جميعًا داعيًا إلى الله عز وجل، ولهذا تستطيع أن تسمي سورة يوسف عليه السلام سورة الدعوة، أو تقول موضوعها الدعوة إلى الله جل وعلا، فهذا يوسف عليه السلام في السجن كان داعيًا إلى الله جل وعلا: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩]، ولما وصل إلى الملك وقربه كان داعيًا إلى الله جل وعلا، ولما أتاه إخوته كان كذلك، حتى صارت هذه السورة فيها كل ما يتعلق بالدعوة والداعية ؛ ففيها خلق الداعية وما يكابده من القيل والقال والكيد، وفيها أيضًا صبر الداعية وتحمله وما يأتيه من البلاء في ذلك، فهي محل للاعتبار والتدبر.

لهذا جاء آخرها يؤكد موضوع السورة، يقول الحق جل وعلا: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]. «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي»، هذه الإشارة إلى ما ذكر في السورة، «هَذِهِ سَبِيلِي»، يعني ما قص في السورة من أحكام ومن سيرة ليوسف عليه السلام من الدعوة إلى التوحيد والصبر على الأذى وبذل النفع والندى والعفو عمن ظلمك، والتعاون مع الناس على البر والتقوى، «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ» وحده، لا إلى النفس، ولا إلى طريقة، ولا إلى حزب، ولا إلى جماعة، وإنما الدعوة إلى الله وحدة خالصة: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ» يعني: على علم وبينة وبرهان وحجة، «أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي»، فكل من أتبع محمدًا ﷺ هو على هذا السبيل ؛ إنه دعا إلى الله جل وعلا.

النبي ﷺ يصدع بالدعوة وحملات الإيذاء تتصاعد

وهذا خاتم الرسل وأفضلهم وسيدهم، أعظم الخلق جاهًا عند الله، هل سلم من الأذى في دعوته إلى الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ؟ لا، بل ناله ﷺ في سبيل ذلك من الأذى القولي والفعلي ما لا يصبر عليه إلا من كان مثله ولم يثنه ذلك عن دعوته إلى الله عز وجل، دعاهم النبي ﷺ إلى عبادة الإله الواحد، فـ ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥، ٦].

ولما نزل قول الله عز وجل: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًا لك، أما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١]. (سنن أبي داود ١٣٠٥).

وصدع الرسول ﷺ بالدعوة، وسفه أحلام المشركين، وعاب آلهتهم، فثارت عليه قريش ثورة رجل واحد، ولقي وأصحابه من الأذى صنوفًا وألوانًا.

وعندما رأت قريش أن عدد المسلمين يتزايد، وجدت في ذلك خطرًا على كيانها، فصعدت من عمليات الإيذاء ؛ فقد روي من طريق ابن مسعود رضي الله عنه: أن أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار بن ياسر، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ: فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر: فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم: فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس.

[الحاكم في المستدرك ٣/٢٨٤، وابن سعد في الطبقات ٣/٢٣٣].

ولقد عانى الصحابة رضوان الله عليهم أشد المعاناة، وما تعذيب بلال وآل ياسر إلا نماذج من ذلك، بل إن الأذى ليصل إلى النبي ﷺ نفسه وإلى أشراف القوم من أمثال الصديق رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي، ويلكم ! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟! فقالوا: من هذا ؟ فقالوا: أبو بكر المجنون، فتركوه وأقبلوا على أبي بكر. [مجمع الزوائد: ٦/١٧].

وسأل عروة بن الزبير عبد الله بن عمرو بن العاص: «أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ ؟ قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟» [أخرجه البخاري ٦/٣٤].

ولم يقتصر الأذى على التعذيب البدني، بل جاوز غصب أموال المضطهدين والاستهزاء بهم.

فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «كان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: فقلت له: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت ؟! فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال وكيع: كذا قال الأعمش. قال: فنزلت: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧].

(رواه مسلم: ٢٧٩٥).

صور من الأذى المادي والمعنوي

وقد اتخذ الأذى الذي لحق بالنبي ﷺ صورًا شتى ؛ حيث كانت السخرية والاستهزاء أحد الأسباب التي اتبعها المشركون لصرف الناس عن دعوته.

فمن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابه له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، قال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم- سُمِّي عقبة بن أبي معيط- فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه على كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت تلعنهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثًا، وإذا سأل الله، سأل ثلاثًا، ثم قال: «اللهم عليك بقريش»، ثلاث مرات. [أخرجه البخاري ١/١٣١]

ومن صور استهزاء المشركين بالنبي ﷺ: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففتَّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أَيُحيي الله هذا بعد ما أرم ؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يميتك الله، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم»، قال: ونزلت الآيات من سورة يس.

[الحاكم في المستدرك ١/٤٢٩].

واتخذ الأذى أشكالا أخرى: المراء الباطل، حيث سلكوا مع النبي ﷺ طريق الجدال لرد الحق، فقد قال النبي ﷺ للمشركين: «يا معشر قريش ! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أن عيسى كان نبيًا وعبدًا من عباد الله صالحًا، فلئن كنت صادقًا فإن آلهتهم لكما تقولون، فأنزل الله جل ذكره: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

(أحمد في المسند ١/٣١٨).

وكذلك سلك المشركون أساليب ملتوية للتأثير نفسيًا على الرسول ﷺ وأتباعه لصدهم عن دعوته وتشكيكهم في دينهم، ومن ذلك ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢]، فمن مكرهم وكيدهم للإسلام وأهله أنهم يظهرون أن الرسول حق وما جاء به صدق أول النهار ثم يرجعون آخر النهار قائلين نظرنا في كتبنا فوجدناه باطلاً ونحن أهل إنصاف، ومن الدليل على إنصافنا كوننا قبلناه أول النهار ولكن بتحرينا وتتبعنا وجدناه باطلاً، فيشككون الناس بذلك فيه، وقال آخرون منهم: بل نجعل الدين ألعوبة نؤمن ثم نكفر فيتبعنا الناس على ذلك. كما ذكر القرآن الكريم افتراءهم الكذب عليه ﷺ، ونبزه بألقاب الزور، واتهامهم إياه بأوصاف هو بريء منها، كقولهم: «ساحرٌ»، أو «شاعرٌ» أو «مجنون»، أو يتلقى الوحي عن بعض الأعجمين، أو اكتتبه من أساطير الأولين، وهو بلا شك أشد وقعًا على النفوس البريئة من ضرب السيوف.

ولهذا طمأنه ربه وسلاه ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]، ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وبعدُ: فهذا موكب النور، وهؤلاء هم الكوكبة المباركة من الأنبياء والمرسلين كانوا أكثر الخلق بذلاً وتضحية وجهادًا وصبرًا في سبيل هذه الدعوة العظيمة التي كلفهم الله عز وجل وشرفهم بها الجميع مأمورون بتبليغ رسالات الله وإرشاد الخلق إلى دين الله، وهذا هو سبيل الأنبياء وهديهم الواجب الذي أوجبه الله عز وجل عليهم، فهم القدوة والأسوة فى الدعوة إلى الله عز وجل ونحن مأمورون أن نقتدي بهم، قال تعالى في حقهم: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفاحة القلب
و
ريحانة العين

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله المنعم المتفضل بجزيل العطايا والإحسان، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد كانت البشرية في فترة من عصورها قد التوت بها سبل الحياة، فانطفأت في قلبها مشاعل الرحمة والفهم المستنير، وأظلمت في نفسها معاني السمو والشفقة، فقتلت الأبناء مخافة الفقر، ووأدت البنات خشية العار، كان ذلك شذوذًا خرجت به البشرية عن دائرة العقل السليم، وعاطفة الأبوة الرحيمة، وخسرت بسببه كثيرًا من النعم، هذا الأمر الذي عبر عنه القرآن الكريم: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ «الأنعام: ١٤٠».

وجاء عرب الجاهلية فأكملوا الجرم بوأد البنات خشية من عار التزوج بزوج دون أبيها في المكانة والشرف، أو عار الفاحشة.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ «الأنعام: ١٣٧».

انظر إلى هذه القسوة وغلظ القلب وقتل البنات البريئات بغير ذنب سوى خوف الفقر والعار، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ «النحل: ٥٨- ٥٩»، وجاء الإسلام فانتقل بهذه الأمة الجاهلية نقلة كبيرة واسعة، فبعد أنْ كانت البنات عارًا يلاحقهم، صاروا يُكَنَّوْنَ بهنَّ ولا يجدون في ذلك حرجًا أو ضيقًا ولا عيبًا أو أذى، وربما رضي بالبنت- واحدة قسمًا وحظًا من الذرية، فأبو أُمامة صدى بن عجلان الباهلي، وأبو أُمامة إياسُ بن ثعلبة الأنصاري الحارثي، وأبو رقية تميم بن أوس الداري، وأبو كريمة المقدام بن معد يكرب وغيرهم، رضي الله عنهم جميعًا.

وكان من أثر هذه الوثبة: أن صار أدباء الصدر الأول يصوغون في مدحهن ما هو أبهى من عقود الجمان، فمن ذلك قول معن بن أوس:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم
وفيهن لا تُكْذب نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى
خوادمُ لا يَمْلَلْنَهُ ونوائحُ

وحُكيَ أنَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه دخل على معاوية رضي الله عنه وعنده ابنته، فقال: من هذه يا معاوية؟ فقال: هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الأنف.

وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت: أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء وأم الأبناء وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

والآن من الزوجات من تُبكر ببنت، وتُثنِّي ببنت، وتُثلث ببنت، وقد تربع ببنت، فلا تجد هذه الحالة قبولاً لدى كثير من الأسر، فيهجرها زوجها، ويقاطعها أو يجبرها على أخذ مانع يمنعها من الحمل، وتصبح الزوجة وتُمسي وهي تسمع عبارات عدم الرضى واللوم والنقد والتوبيخ تقرع أذنها، وتنظر النساء في الأسرة إليها نظرة ازدراء واستخفاف، وتصبح حياتها حياة تعسة لما ترى من المعاملة، ولما تحس من التحقير، إننا نؤكد أنَّ هذه النظرة نظرة جاهلية حرمها الإسلام تحريمًا قاطعًا، لأنها تحمل في طياتها الأمور التالية:

أولاً: الرجوع إلى الجاهلية الظالمة التي تبرأ منها المجتمع الإسلامي منذ العصر النبوي.

ثانيًا: الاعتراض على قدر الله، والسخط على عطائه.

والسبب في ذلك يعود إلى ضعف الإيمان، وزعزعة اليقين، لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من إناث، لم يملكوا هم ولا نساؤهم، ولا مَن في الأرض جميعًا، أن يغيروا من خلق الله تبارك وتعالى في تدبيره المبرم، وإرادته النافذة ومشيئته المطلقة وأمره الغالب في شأن الإناث، وشأن الذكور: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ «الشورى: ٤٩-٥٠». فهو سبحانه وتعالى بحكم سلطانه على الأرض والسماء، يتصرف كيف يشاء، وهذا ناتج عن علم أحاط بكل شيء، وقدرة أخضعت لها كل شيء، فالواجب أن يُسلمَ العبد لربه فيما وهبه وأعطاه، ومن السفه الاعتراض على حكم الله، فالتشاؤم من البنات مرفوض شرعًا وعقلاً.

عن حذيفة بن أُسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرَّ بالنُّطفة اثنتانِ وأربعونَ ليلةً، بعثَ الله إليها ملكًا فصوَّرها، وخلق سمعَها وبصرَها، وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا ربِّ أذكرٌ أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتبُ الملكُ، ثم يقولُ: يا ربِّ أجله، فيقول ربك ما شاءَ، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصَحيفةِ في يَدهِ، فلا يزيدُ على أمرٍ، ولا ينقصُ». «صحيح الجامع ٧٩٧».

فيجب على الأسرة المسلمة الرضى بما قسم الله لها من البنين والبنات، وترضى كذلك إذا حرمها فلا تسخط إذا جاء القسم على غير هواها ومرادها وهذا الرضى ينم عن إيمان عميق في القلب، ولكي يقتلع رسول الله ﷺ من بعض النفوس الضعيفة جذور الجاهلية خصَّ البنات بالذكر، وأمر الآباء والمربين بحسن صحبتهن والعناية بهنَّ، والقيام على أمورهنَّ، ليستاهلوا دخول الجنة وبالتالي حتى تكون تربية البنات وتحقيق الخير لهنَّ على الوجه الذي يرضي الله سبحانه، ويامر به الإسلام، وإليكم بعض التوجيهات النبوية في وجوب العناية بالبنات والاهتمام بهن:

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَالَ جَاريتَين حتى تَبلغا جاء يومَ القيامة أنا وهو كهَاتَيْنِ، وضَمَّ أصابعهُ». «مسلم ١٤٣٢ في النكاح».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحدٌ من أمتي يعول ثلاث بنات، أو ثلاثَ أخوات، فيحسنُ إليهن، إلا كُنَّ له سترًا من النار». «صحيح الجامع ٢٦٣٠».

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات يؤويهنَّ ويكفيهنَّ ويرحمهنَّ فقد وجبتْ له الجنةُ البتة». فقال رجل من بعض القوم: وثنتين يا رسول الله؟ قال: وثنتين». «الصحيحة ١٠٢٧».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عال جاريتين حتى يُدركا، دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين، وأشار بأصبعيه».

«صحيح الجامع ٦٣٩١».

فما أعظم نعمة الإسلام على الإنسانية بأسرها، وهل بعد هذا الفضل فضل في تربية البنات؟

المنهج الإسلامي

الحلقة الخامسة عشر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ذكرنا في الحلقة السابقة أن الله تعالى جعل الزواج علاقة قائمة على المودة والرحمة، وقلنا إنه لا يتصور أن يحرم الله تعالى الغش في السلع والبضائع ولا يحرمه في مؤسسة الزواج العظمى، لذا كان فسخ النكاح هو السبيل لنقض العقد المبرم بين الزوجين إذا دلّس أحدهما على الآخر أو أخل بشرط من شروط الزواج أو مقصد من مقاصده.

فرأينا فسخ النكاح بالعيب سواء كان العيب من الرجل أو من المرأة، ثم تكلمنا عن الشروط في النكاح وأقسامها، وأن الشروط في النكاح ثلاثة أقسام: القسم الأول منها: شروط صحيحة يصح معها العقد، فرأينا من هذه الشروط، أن تشترط ألا يتزوج عليها، وكيف اختلف أهل العلم في ذلك الشرط بين مجيز ومانع، ونستانف الكلام عن تتمة القسم الأول.

ومن الشروط إذا اشترطت أن لا يخرجها من دارها أو بلدها صحَّ هذا الشرط ولو على غير عوض.

ومن أمثال شروط هذا القسم: أن تشترط نقدًا معينًا في مهرها من غير نقد البلد، أو تشترط زيادة على مهر مثلها، فإن خالف شرطًا من هذه الشروط فلها الفسخ، لكن إن وجد ما يدل على الرضا فإنه يسقط حقها، ودلالة الرضا منها إما بالقول أو بالفعل.

القسم الثاني: شروط فاسدة مفسدة

منها نكاح الشغار: وهو أن يزوج موليته (أي من له ولاية عليها من بنت أو أخت أو غير ذلك) بشرط أن يزوجه الآخر موليته ولا مهر بينهما، أو يجعل بُضع كل واحدة منهما دراهم معلومة مهرًا للأخرى، وقد نهى النبي ﷺ عن الشغار، كما بحديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار. (متفق عليه)، وهذا النوع من النكاح من نكاح الجاهلية.

نكاح التحليل: وهو أن يتزوج بشرط أنه إذا أحلَّها طلقها، وذلك بأن يجامعها ثم يطلقها لكي يراجعها زوجها الأول، فهذا شرط فاسد وعقد فاسد، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لعن الله المحلل والمحلل له». (صحيح الترمذي).

وقد سمى النبي ﷺ المحلِّل: التيس المستعار. (سنن ابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع).

وقد صحَّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لا أوتى بمحلل ولا بمحللة إلا رجمتهما. (رواه عبد الرزاق في المصنف).

نكاح المتعة: وهو أن يتزوج الرجل المرأة إلى أجل معلوم، قلَّ أو كثر، في مقابل شيء يعطيه إياها، وهذا النكاح حرام باتفاق العلماء.

القسم الثالث: الشروط الفاسدة غير المفسدة

كأن يشترط أن لا مهر لها، وقد اختلف أهل العلم في هذا الشرط، هل هو فاسد مفسد (يعني يؤدي إلى فساد العقد) أم فاسد غير مفسد (يعني يبطل الشرط ويصح العقد). ورجح ابن تيمية أن شرط عدم المهر

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

إعداد/ متولي البراجيلي

فاسد مفسد، قال: لأن الله يقول: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴾، فقيده بابتغاء المال، يعني أن تطلبوا النكاح بأموالكم التي تبذلونها، وقال أيضًا: إن علة تحريم الشغار هو أنه لا مهر بينهما.

وقد اختار ابن عثيمين ما رجحه ابن تيمية من أن شرط عدم المهر مبطل للعقد.

واعلم أن هناك فرقًا بين عدم اشتراط المهر وبين عدم تسمية المهر (عدم ذكره)، فتسمية المهر، أي ذكره في العقد ليس ركنًا في العقد ولا شرطًا فيه، بل هو أثر من آثاره، فإذا عقد النكاح دون ذكر المهر فالعقد صحيح، قال تعالى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

فرفع الله الجناح (الإثم) على من طلق زوجته قبل أن يمسها وقبل أن يفرض لها مهرها، ويجوز بعد العقد أو بعد الدخول أن يحدد المهر، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال لرجل: أترضى أن أزوجك فلانة ؟ قال: نعم، وقال للمرأة: أترضين أن أزوجك فلانًا ؟ قالت: نعم، فزوج أحدهما صاحبه، ولم يفرض لها صداقًا، ولم يعطها شيئًا، وكان ممن شهد الحديبية، وكان من شهد الحديبية له سهم خيبر، فلما حضرته الوفاة قال: إن رسول الله ﷺ زوجني فلانة، ولم أفرض لها صداقًا، ولم أعطها شيئًا، وإني أشهدكم أني قد أعطيتها صداقًا سهمي بخيبر، فأخذته، فباعته بعد موته بمائة ألف، قال: وقال رسول الله ﷺ: «خير الصداق أيسره».

(صحيح سنن أبي داود).

فإن لم يحدد لها المهر وطلقها أو مات عنها فلها مهر المثل (أي من تماثلها من قريباتها) ممن تكون في مثل حالها في دينها وعقلها وجمالها ويسارها وبكارتها وثيبوتها وصراحة نسبها، وأن تكون من أهل بلدها لأن عادة البلاد تختلف في المهر. (المغني).

ففي الحديث عن علقمة قال: أُتي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في امرأة تزوجها رجل، ثم مات عنها، ولم يفرض لها صداقًا، ولم يكن دخل بها، قال: فاختلفوا إليه، فقال: إن لها مثل مهر نسائها، ولها الميراث، وعليها العدة، فشهد معقل بن سنان أن النبي ﷺ قضى في بَرْوع ابنة واشق بمثل ما قضى.

(صحيح سنن أبي داود والترمذي وغيرهما).

فائدة: يجوز تعجيل المهر كله، ويجوز تأخيره كله، ويجوز تعجيل بعضه وتأخير بعضه حسب اتفاق الطرفين، وإن كان التعجيل في الخير أولى، وهو دين عليه على كل حال.

قال ابن تيمية في (الفتاوى): والأولى تعجيل الصداق كله للمرأة قبل الدخول إذا أمكن، فإن قدم البعض وأخر البعض فهو جائز.

فائدة: نكاح التفويض: هو أن يعقد النكاح دون تسمية صداق، وهو جائز بإجماع- كما أفاد في بداية المجتهد.

وهذه المفوضة إن طلقت قبل الدخول بها وقبل أن يفرض لها مهرًا، اتفق الفقهاء الأربعة على وجوب المتعة لها، واتفقوا أيضًا على أنه يجب مهر المثل إن دخل بها.

ومن الشروط كذلك إذا اشترط أن لا نفقة لها، فاختلفوا فقالوا: هذا شرط فاسد ينافي مقتضى العقد، لأن مقتضى العقد الاتفاق، وقال فريق: بل

يصح لأن النفقة حق للزوجة ولها أن تتنازل عن حقها.

- أو أن يشترط لها أن يقسم لها أقل من ضرتها، اختلفوا أيضًا فقيل لا يصح، وقيل: يصح، ورجح ابن عثيمين في الشرح الممتع أنه يصح.

مثال ذلك: لو قال لها: أنا عندي زوجة سأعطيها يومين وأنت يومًا، فرضيت بذلك فلا مانع، لكن إن شرطت هي أن يقسم لها أكثر من ضرتها، فالشرط لا يصح لأنه يتضمن ظلمًا على الضرة.

ومن الشروط أن يشرط في النكاح خيارًا، وشرط الخيار ينقسم إلى قسمين

١- أن يكون من الزوجة على الزوج:

مثل أن يكون هذا الرجل (الزوج) مشهورًا بسوء الخلق أو أهله مشهورين بذلك، فإذا ساءت أخلاقه أو أخلاق أهله معها فلها الفسخ، وقيل هذا الشرط فاسد وهو منافٍ للعقد، وقال شيخ الإسلام: بل يصح الشرط.

٢- أن يكون من الزوج على الزوجة:

وقيل: هذا الخيار لا يصح، لأن الزوج يستغني عنه بالطلاق، وقيل بل يستفيد منه الزوج قبل الدخول، فلا يدفع نصف المهر.

وقال شيخ الإسلام: بل يصح الشرط أيضًا، ودليل من قال بصحة شرط الخيار عموم حديث النبي ﷺ: إن أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج. [متفق عليه].

وحدث في أيام عمر رضي الله عنه أن رجلاً تزوج امرأة، وشرط لها دارها، ثم أراد نقلها، فخاصموه إلى عمر، فقال لها شرطها.

فقال الرجل: إذًا يطلقننا؟! فقال عمر: مقاطع الحقوق عند الشروط.

(منار السبيل، إرواء الغليل، وهو صحيح).

ومن منع هذا الشرط، قال: إن الخيار هو طلب خير الأمرين، والنكاح لابد أن يكون بعد مشاورة ومراجعة، وقد اختار الإنسان من الأصل.

مسألة: هل العيب الذي فيه الخيار معدود أم محدود؟

بمعنى هل هو مخصوص بعيوب معدودة فقط، وما سواها- ولو كان أولى منها بالنفور- فليس بعيب، أم أنه محدود بضابط محدود، متى تحقق هذا الضابط صار عيبًا فيه الخيار؟

الصحيح أنه مضبوط بضابط محدود، وهو ما يعده الناس عيبًا يفوت به كمال الاستمتاع، أو ما كان صفة نقص.

مسألة: هل يثبت لكل واحد من الزوجين الفسخ ولو حدث العيب بعد العقد؟

الفسخ تستفيد منه المرأة بلا شك، لأنها لا تملك التطليق، والرجل أيضًا يستفيد منه فائدتين:

١- أن لا يحتسب عليه من الطلاق.

٢- أن لا يُساء به الظن بكونه مطلاقًا للنساء. (كثير الطلاق).

أما بالنسبة للمهر فلا يستفيد منه لأنه لا يستفيد المهر إلا إذا كان هناك غش وخداع، ولو حدث العيب بعد العقد، فإن هذا ليس فيه غش، لأنه لا يعلم أحد أنه ستكون هذه العيوب، وهذا الأمر محل خلاف بين أهل العلم.

يقول ابن عثيمين في الشرح الممتع: وهذا القول يكون متوجهًا في بعض العيوب، أما بعضها فإنه لا ينبغي أن يكون فيه خلاف، فالجنون المطلق إذا حدث بعد العقد، وقلنا ليس للمرأة الخيار، لكان مشكلاً أن نلزمها بالبقاء مع رجل مجنون تخافه على نفسها وعلى أولادها.

مسألة: لو كان العيب واحدًا في الزوجين، فهل يفسخ به العقد؟

مثل أن يجد بها برصًا وتجد به برصًا، قال الفقهاء لكل واحد منهما الخيار، لأن المرء ينفر من عيب غيره ولا ينفر من عيب نفسه.

لكن قد يستثنى من ذلك إذا وجدته مجبوبًا (مقطوع الذكر) ووجدها رتقاء (مسدودة الفرج)، لأنه لن يستفيد من غيرها لو فسخ، وهي لن تستفيد من غيره لو فسخت.

مسألة: ماذا لو كانت جاهلة أن العيب الذي بزوجها يثبت لها الفسخ؟

مثل لو أنها لا تعلم أنه لو كان بزوجها برص فلها الفسخ، أو كان عنينًا لها الفسخ، قال الفقهاء: ليس لها الفسخ ولم تعذر هنا بجهلها.

ولعل الراجح أنها تعذر بجهلها في المسألة لا

سيما وأن كثيرًا من النساء قد يجهلن هذه الأمور.

مسألة: قال ابن تيمية: الفسخ يكون بين الزوجين دون الرجوع للقاضي، لكن إن تنازعا رجعا إلى القاضي، والقاضي إما أن يباشر الفسخ بنفسه فيقول مثلاً: فسخت فلانًا من فلانة للعيب الذي فيه، أو للعيب الذي فيها، أو يوكل صاحب الفسخ بذلك فيقول: إني قد جعلت لك الفسخ، فيقول الزوج: فسخت زوجتي لعيبها، وكذا الزوجة تقول: فسخت زوجي لعيبه.

مسألة: إذا ثبت العيب قبل الدخول (بعد العقد) فلا مهر لها، وإذا كان العيب بالزوج، قيل: لا مهر لها، لأنها هي التي طلبت الفسخ، وقيل: بل الأصح أن لها نصف المهر، فالصحيح أنها هي التي طلبت الفرقة لكن بسبب غشه وخداعه.

أما إن كان الفسخ بعد الدخول، فللمرأة المهر، لحديث النبي ﷺ: «لها المهر بما استحللت من فرجها». (البخاري).

وقد ألحق الصحابة رضي الله عنهم الخلوة بالجماع، وقالوا: لأنه قد استحل منها ما لا يحل لغيره. (مسلم). (الشرح الممتع لابن عثيمين بتصرف).

مسألة: الولي شرط من شروط صحة النكاح:

وذلك عند جماهير أهل العلم، فالنكاح لا يصح إلا بولي، ولا تملك المرأة تزويج نفسها ولا غيرها، ولا توكل غير وليها في تزويجها، فإن فعلت لم يصح النكاح، وقد ثبت ذلك عن جماهير أهل العلم، وقد روي هذا عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وغيرهم من الصحابة، رضي الله عنهم جميعًا، وإليه ذهب سعيد بن المسيب، والحسن، وعمر بن عبد العزيز، والثوري، وابن المبارك، والشافعي، وهو مذهب أحمد، وغيرهم من أهل العلم.

قال ابن المنذر: إنه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك، أي أن المرأة لا تزوج نفسها.

وقال أبو حنيفة: لها أن تزوج نفسها وغيرها وتوكل في النكاح؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. فأضاف النكاح إليهن.

ورد الجمهور على قول أبي حنيفة بما ورد في سبب نزول هذه الآية. (والحديث في البخاري وغيره).

عن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: إنها نزلت فيه (يعني الآية السابقة)، قال: زوجت أختًا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبدًا، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ...﴾. فقلت: الآن أفعل يا رسول الله.

ومعنى الإعضال: المنع.

قال الحافظ ابن حجر تعقيبًا على هذا الحديث: وهي أصرح دليل (الآية) على اعتبار الولي، وإلا لما كان لعضله معنى، ولأنها لو كان لها أن تزوج نفسها لم تحتج إلى أخيها، ومن كان أمره إليه لا يقال إن غيره منعه منه.

وفي الحديث: «لا نكاح إلا بولي». (صحيح سنن أبي داود والترمذي وغيرهما).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن مواليها فنكاحها باطل» (ثلاثًا)، ولها المهر بما أصاب منها، فإن اشتجروا كان السلطان ولي من لا ولي له.

(صحيح سنن أبي داود وغيره).

- واعلم أنه لا فرق في ذلك بين البكر والثيب، كما فهم بعض الناس أن الثيب تستطيع أن تزوج نفسها بغير إذن وليها، وهذا باطل، بل الأدلة عامة تشمل كل امرأة تريد الزواج بكرًا كانت أم ثيبًا، ولذا ترجم الإمام البخاري قال: «باب من قال: لا نكاح إلا بولي؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾، فدخل فيه الثيب، وكذلك البكر».

- ومن فوائد اشتراط الولي:

١- أن لا تظهر المرأة بمظهر التائقة التي تسعى إلى الرجال، بما يشعر بوقاحتها ورعونتها وميلها إلى الرجال.

٢- أن لا تستبد بها العاطفة فتقع في سوء الاختيار.

٣- أن ضرر سوء الاختيار يقع على الأهل جميعًا

وليس عليها بمفردها.

فائدة في ترتيب الأولياء:

الشافعي وأحمد وأبو حنيفة: قالوا: الأب هو الولي ولا ولاية لأحد معه، ثم اختلفوا هل يقدم الجد لأب على الابن أم لا ؟فقالوا: الجد لأب وإن علت درجته يقدم على الابن، وهو قول الشافعي ورواية عن أحمد، وعن أحمد رواية أخرى أن الابن مقدم على الجد، وهو قول مالك ومن وافقه، ولأحمد رواية ثالثة أن الأخ مقدم على الجد وهو قول لمالك أيضًا، وقيل: بل الجد والأخ سواء. (بداية المجتهد وهامشه).

- إذا زوجها الولي الأبعد مع حضور الولي الأقرب فأجابته إلى تزويجها من غير إذن الأقرب، لا يصح عند الجمهور، وقال مالك: يصح لأن هذا ولي له أن يزوجها بإذنها كالأقرب.

- إذا غاب الولي الأقرب غيبة منقطعة (ليست دائمة)، هذا يُنظر فيها إلى بعد المكان وطول الغيبة وحاجة البنت إلى النكاح إما لعدم النفقة أو للخوف عليها من عدم الصون، أو للأمرين معًا، فهذه يزوجها الولي التالي من عصبتها، وبهذا قال الجمهور، وقال الشافعي: يزوجها الحاكم.

مسألة: عضل الولي:

وهو منع المرأة من تزويجها بكفئها من غير سبب، أما إذا منعها من التزويج من غير كفئها فلا يكون عاضلاً لها.

قال ابن تيمية في «الفتاوى»: وإذا رضيت رجلاً، وكان كفؤًا لها، وجب على وليها كالأخ أو العم أن يزوجها به، فإن عضلها أو امتنع عن تزويجها زوجها الولي الأبعد منه أو الحاكم، بغير إذنه باتفاق العلماء، فليس للولي أن يجبرها على نكاح من لا ترضاه، ولا يعضلها عن نكاح من ترضاه إذا كان كفؤًا باتفاق الأئمة.

مسألة: الشهود شرط من شروط صحة الزواج:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل». (صحيح ابن ماجه وغيره).

والجمهور على أن النكاح لا ينعقد إلا بالشاهدين، وقال الشافعية والحنفية والحنابلة (في المشهور عنهم) إن العقد يصح بشاهدي العدل وهما كافيان لتحقق الإعلان الذي دعا إليه رسول الله ﷺ، والمالكية قالوا: إن الشاهدين غير كافيين في إعلان النكاح خاصة إذا كتما ويسمونه نكاح السر، والعقد عند المالكية يصح بالإعلان دون الشهادة بحيث لو أعلن نكاح بين الصبيان والمجانين صحَّ النكاح، وابن حزم قال يتم بالشاهدين وإن استكتما، (أي يكتما الأمر، وهذا ليس بنكاح سر وقد حضره الولي، والزوج، والزوجة، والشاهدان)، وكذلك بالإعلان العام.

فائدة: هل يشترط الذكورة في الشهود؟

الجمهور على اشتراطها، وقد استدلوا بما قاله الزهري: جرت السنة عن رسول الله ﷺ أنه لا تجوز شهادة النساء في الحدود والنكاح والطلاق.

وأبو حنيفة على عدم اشتراط الذكورة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾، وابن حزم على جواز رجل وامرأتين عدول.

قال البغوي في تفسيره: وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين.

واختلفوا في غير الأموال، فذهب جماعة إلى أنه تجوز شاهدتان مع الرجال في غير العقوبات، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين، وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ما يطلع عليه النساء غالبًا كالولادة والرضاع، والثيوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، وشهادة أربع نسوة، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات.

فائدة: هل يشترط العدالة في الشهود؟

الشافعي على اشتراطها، ولأحمد روايتان، والأحناف والمالكية لا يشترطونها، فشهادة الفاسق عندهم مجزئة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الأسرة المسلمة

الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم

معلم الأمانة للعالمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نستمطر بها صوب الصواب ونرفل منها في ثوب الثواب وندخر منها حاصلاً ليوم الحساب، ونعتد برها واصلاً ليوم الفصل والمآب، ونشهد أن محمدًا عبده الصادق الأمين، ورسوله الذي لم يكن على الغيب بضنين، وحبيبه الذي فضل الملائكة المقربين، ونجيه الذي أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حجة على الملحدين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صحبوا ووزروا، وأيدوا حزبه ونصروا، وبذلوا في نصحه ما قدروا، وعدلوا فيما نهوا وأمروا ؛ صلاةً تكون لهم هدًى ونورًا إذا حشروا، ويطيب بها نشرهم إذا نشروا، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. وبعد:

إعداد/ **جمال عبدالرحمن**

فقد كان نبي الله محمد ﷺ أشد الناس في حفظ الأمانات وأحرصهم على أدائها، ولشدة أمانته ﷺ كان يسعى في أحرج الأوقات وأصعب الأزمات أن يؤدي الأمانات.

قال ابن إسحاق: ولم يَعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج مهاجرًا إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما عليّ فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ؛ لما يعلم من صدقه وأمانته. «البداية والنهاية ٣/١٧٨».

▫▫ أمر الله تعالى بأداء الأمانة ▫▫

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ «النساء: ٥٨».

يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أُخذ منه ذلك يوم القيامة.

قال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه، وقال أبي بن كعب: من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها، وقال الربيع بن أنس: هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ قال: يدخل فيه وعظ السلطان النساء يعني يوم العيد، وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة القرشي العبدري حاجب الكعبة المعظمة، وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح، ثم رده عليه.

وقال محمد بن إسحاق في غزوة الفتح: عن صفية بنت

شيبة: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعًا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها، ثم قام على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدميَّ هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج». ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟» فدُعِي له، فقال له: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر». قال ابن حجر: نزلت في عثمان بن طلحة، قبض منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ الآية، فدعا عثمان إليه فدفع إليه المفتاح، قال: وقال عمر بن الخطاب: لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾، فداه أبي وأمي، ما سمعته يتلوها قبل ذلك. «تفسير ابن كثير بتصرف».

وقال سبحانه: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ «البقرة: ٢٨٣».

وصية النبي ﷺ بأداء الأمانة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك». «سنن أبي داود، وقال الشيخ الألباني: صحيح».

أنواع الأمانات

كما أسلفنا فإن هذا الحديث وقبله الآيات يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من:

١- حقوق الله عز وجل على عباده من الصلوات والزكوات والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه ولا يطلع عليه العباد.

٢- ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير قيام بينة على ذلك.

٣- ومن الأمانات تربية الأولاد على الشريعة وأحكامها، قال ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته». «متفق عليه».

وقال علي رضي الله عنه في قوله جل وعلا: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي: أدبوهم وعلموهم.

٤- ومن الأمانات أمانة الكلمة والمشورة، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «المستشار مؤتمن».

«الترمذي وغيره، وصححه الألباني».

فإذا استشارك أحد في الزواج بامرأة أو في تزويج رجل فينبغي أن تكون أمينًا في نقل الأخبار على هؤلاء وهؤلاء، وغير ذلك خيانة، ثم إن ذلك شهادة، وشهادة الحق مفروضة، وشهادة الزور من أكبر الكبائر.

٥- ومن الأمانة حفظ أسرار المجالس: وفي هذا يقول نبينا ﷺ: «إنما المجالس بالأمانة».

«صحيح الجامع ح٢٣٣٠ عن عثمان وابن عباس».

فأي مجلس من مجالس المسلمين في إدارة أو وزارة، في مشورة أو ضرورة، ويخرج منهم من يفشي أسرارهم، ويفضح آراءهم، ويوهن إجماعهم، ويزكي نفسه دونهم، فمثله خائن للأمانة، ضعيف الإيمان والديانة، لقول النبي ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له». «صحيح الجامع ٧١٧٩».

٦- ومن الأمانة المحافظة على الأموال العامة أموال الدولة، أموال المسلمين، أموال بيت المال، وكل من ائتمنته الدولة على عمل فليأت بقليله وكثيره ولا يكتم منه شيئًا، يظهر ذلك في الحديث الآتي:

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سليم يُدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه قال: هذا مالكم وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ: «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا؟». ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر».

ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه يقول: «اللهم هل بلغت». بصر عيني وسمع أذني. «صحيح البخاري ح٦٥٧٨، ومسلم».

ولقوله ﷺ: «يا أيها الناس من عمل منكم لنا على عمل فكتمنا منه مخيطًا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة». فقام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، اقل عني عملك، قال: «وما ذاك؟» قال: سمعتك تقول: كذا وكذا، قال: «وأنا أقول ذلك؛ من استعملناه على عمل فليأت بقليله وكثيره فما أوتي منه أخذه وما نهي عنه انتهى».

رواه مسلم وأبو داود واللفظ له.

وعن زيد بن ثابت مرفوعًا: أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مصلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى».

«صحيح الجامع ٢٥٧٥».

جزاء خائن الأمانة ومضيعها

كل ذلك أمانات أمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء». «مسلم وغيره».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، ثم قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة، وإن قُتل في سبيل الله فيقال: أد أمانتك، فيقول: أي رب؛ كيف وقد ذهبت الدنيا؟ قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه، حتى إذا نظر ظن أنه خارج زالت عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدها، وأشد ذلك الودائع.

قال: يعني زاذان: فأتيت البراء بن عازب فقلت: ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود؟ قال: كذا قال كذا، قال، قال: صدق، أما سمعت الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾؟.

(رواه البيهقي موقوفًا، ورواه بمعناه غيره مرفوعًا والموقوف أثبت. صحيح الترغيب والترهيب».

بركة الأمانة والخير الذي فيها

قال ﷺ: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخُلق، وعفة مطعم». «صحيح الجامع ٨٧٣».

وعن عبد الرحمن بن أبي قراد أن النبي ﷺ توضأ يومًا فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه فقال لهم النبي ﷺ: «ما يحملكم على هذا؟» قالوا: حب الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث وليؤد أمانته إذا اؤتمن وليحسن جوار من جاوره». «مشكاة المصابيح».

تعليم النبي ﷺ الأسرة المسلمة الأمانة

أولاً: الرجال:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

وقوله ﷺ: «إنك ضعيف وإنها أمانة». هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة.

«صحيح مسلم ح١٨٢٥ بشرح النووي».

ثانيًا: النساء:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني إلا ما أخذت من ماله بغير علمه، فهل عليَّ في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك». «صحيح مسلم ١٧١٤».

والذي سيقدر حجم هذا المعروف المأخوذ من نفقة الزوج بدون علمه هي هند، فأرشدها النبي ﷺ إلى مراقبة الله وحده في هذا، وفي هذا الحديث فوائد منها وجوب نفقة الزوجة ومنها وجوب نفقة الأولاد الفقراء الصغار، ومنها أن النفقة مقدرة

بالكفاية.

ثالثًا: الأطفال:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسرّ إليّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس. «مسلم وغيره».

أثر تعليم النبي ﷺ الأمانة لأصحابه

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجاهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء ويخرجون منها، فاشترط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئًا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة فغيبوا مسكًا ف(جلدشاة) به مال وحلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حيي: «ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟» فقال: أذهبته النفقات والحروب فقال ﷺ: «العهد قريب، المال أكثر من ذلك». فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير بن العوام ، وقد كان حيي قبل ذلك قد دخل خربة فوجدوا المسك في خربة فقتل رسول الله ﷺ ابني «أبي» حقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوا، وأراد أن يجليهم منها فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها فكانوا لا يتفرغون أن يقوموا، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم (يعني: يقدرها)، ثم يضمنهم الشطر، قال: فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله، أتطعموني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ، ولأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. «صحيح ابن حبان ح٥١٩٩».

وفي موطأ مالك: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخيلهم من خراج فعرضوا عليه شيئًا من المال يبذلونه له، فقال لهم: فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها. أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار:

أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حليًا من حلي نسائهم، فقالوا له: هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم.

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحدًا، قال أنس: والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك يا ثابت.

«مسلم في صحيحه».

كل الناس هكذا

هذه المقولة يتعلل بها كثير من ضعفة الإيمان والنفوس، فيبرر الإنسان منهم لنفسه سوء طريقته وقلة أمانته بأن كل الناس هكذا، ولسقم هذا المفهوم وبطلان الحجة فيه يعدله لنا رسول الله ﷺ؛ عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان» أو «يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا». وشبك بين أصابعه، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم».

«سنن أبي داود، وصححه الألباني».

وفي رواية: «إذا رأيت الناس قد مرجت (اختلطت) عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا- وشبك بين أنامله- فالزم بيتك واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة».

«صحيح الجامع عن ابن عمر ٥٦٣».

هذا وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة الرابعة والتسعون

قصة الخمس عشرة عقوبة التي تصيب تارك الصلاة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على نشرها أن كثيرًا من الناس يطبعها ويوزعها وهو لا يدري أنها مكذوبة ومفتراة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق حتى يقف على حقيقة هذه القصة:

إعداد/ علـــى حشيـــش

أولا: المتن

رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من تهاون بصلاته عاقبه الله تعالى بخمس عشرة عقوبة: ستة منها في الدنيا، وثلاثة منها عند الموت، وثلاثة منها في قبره، وثلاثة منها تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره.

فأما الستة التي تصيبه في الدنيا:

فالأولى: ينزع الله البركة من عمره.

والثانية: يمسح الله سيما الصالحين من وجهه.

والثالثة: كل عمل يعمله من أعمال البر لا يؤجر عليه.

والرابعة: لا يرفع الله عز وجل له دعاء إلى السماء.

والخامسة: تمقته الخلائق في دار الدنيا.

والسادسة: ليس له حظ في دعاء الصالحين.

وأما الثلاثة التي تصيبه عند الموت:

فالأولى: أن يموت ذليلاً.

والثانية: أن يموت جائعًا.

والثالثة: أن يموت عطشان ولو سقي مياه بحار الدنيا ما رُوي عطشه.

وأما الثلاثة التي تصيبه في قبره:

فالأولى: يضيق الله عليه قبره، ويعصره حتى تختلف أضلاعه.

والثانية: يوقد عليه في قبره نارٌ ويتقلب في جمرها ليلاً ونهارًا.

والثالثة: يسلط الله عليه ثعبانًا يسمى الشجاع الأقرع عيناه من نار، وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم، فيقول له: أنا الشجاع الأقرع، وصوته مثل الرعد القاصف، ويقول له: أمرني الله أن أضربك

على تضييع صلاة الصبح من الصبح إلى الظهر.

واضربك على تضييع صلاة الظهر من الظهر إلى العصر.

واضربك على تضييع صلاة العصر من العصر إلى المغرب.

واضربك على تضييع صلاة المغرب من المغرب إلى العشاء.

واضربك على تضييع صلاة العشاء من العشاء إلى الصبح.

وكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض ستين ذراعًا فيدخل أظافره تحت الأرض ويخرجه فلا يبرح تحت الضرب إلى يوم القيامة.

وأما الثلاثة التي تصيبه يوم القيامة:

فالأولى: يوكل الله به ملكًا يسحبه على جمر بوجهه في عرصات القيامة.

والثانية: يحاسبه حسابًا طويلاً.

والثالثة: لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

ثم تلا النبي ﷺ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ «مريم: ٥٩».

ثانيا: التخريج

أخرج قصة عقوبة تارك الصلاة ابن النجار في «تاريخه»، كذا في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١١٣/٢) لأبي الحسين علي بن محمد بن عراق الكناني، وأوردها أبو الليث السمرقندي في كتابه «قرة العيون» الباب الأول في «عقوبة تارك الصلاة» ح(٢).

ثالثا: التحقيق

قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١١٤/١): أخرجها ابن النجار في «تاريخه» من حديث أبي هريرة قال في الميزان: حديث باطل ركبه محمد بن علي بن العباس على أبي بكر بن زياد النيسابوري، وقال في «اللسان»: هو ظاهر البطلان من حديث الطرقية». اهـ.

قُلْتُ: وبالرجوع إلى هذه الأصول التي نقل منها ابن عراق الحكم على حديث القصة بالبطلان:

١- نجد أن الإمام الذهبي في «الميزان» (٢ / ٦٥٣ / ٧٩٦٩) قال: «محمد بن علي بن العباس البغدادي العطار ركب على أبي بكر بن زياد النيسابوري حديثًا باطلاً في تارك الصلاة، روى عنه محمد بن علي الموازيني شيخ لأُبيِّ النَّرْسي». اهـ.

٢- وأقر الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/٣٣٤) (٢/٦٥٣/٧٩٦٩) قول الإمام الذهبي في «الميزان»، ثم قال: «زعم المذكور- يعني محمد بن علي بن العباس البغدادي العطار- أن ابن زياد أخذه عن الربيع، عن الشافعي، عن مالك، عن سُمَي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من تهاون بصلاته عاقبه الله بخمس عشرة خصلة...» الحديث، وهو ظاهر البطلان من أحاديث الطرقية». اهـ.

قُلْتُ: بهذا يتبين أن قصة الخمس عشرة عقوبة التي تصيب تارك الصلاة واهية، وهي ظاهرة البطلان.

رابعا: بدائل صحيحة

١- هناك بدائل صحيحة تبين عاقبة تارك الصلاة، فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» ح(٨٢) قال: «حدثنا يحيى بن يحيى التميمي، وعثمان بن أبي شيبة كلاهما عن جرير، قال يحيى: أخبرنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، قال: سمعت جابرًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنَّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

٢- ومن البدائل الصحيحة التي تبين عاقبة تارك الصلاة ما أخرجه أحمد في «المسند»، والترمذي في «السنن»، والنسائي في «السنن» من حديث بُريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

قال الحاكم: «صحيح ولا نعرف له علة». ووافقه الذهبي (٦/١).

٣- قال الإمام ابن حزم في «المحلى» (٢٠٦/٢): «وقد جاء عن عمر، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم: أن من ترك صلاة فرض واحدة متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد». اهـ.

قُلْتُ: ولقد قدم الإمام ابن حزم لذلك فقال: «ما نعلم لمن ذكرنا من الصحابة رضي الله عنهم مخالفًا منهم». اهـ.

٤- وفي «الإفصاح عن معاني الصحاح في مذاهب الأئمة الأربعة» لابن هبيرة الحنبلي (١١٤/١) «كتاب الصلاة» (المسألة السادسة/ باب صفة الصلاة):

- «واجمعوا على أن كل من وجبَ عليه الصلاة من المخاطبين بها، ثم امتنع من الصلاة جاحداً لوجوبها، فإنه كافر، ويجب قتله ردة».

٥- المسألة السابعة: «ثم اختلفوا فيمن تركها ولم يصل وهو معتقد لوجوبها فقال مالك والشافعي وأحمد: يُقتل إجماعًا منهم، وقال أبو حنيفة: يُحبس أبداً حتى يصلي».

٦- نقل ابن قدامة أنه لا خلاف بين أهل العلم في كفر من تركها جاحداً لوجوبها، إذا كان ممن لا يجهل مثله ذلك، فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، والناشئ بغير دار الإسلام أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفره، وعرف ذلك، وتثبت له أدلة وجوبها فإن جحدها بعد ذلك كفر». اهـ. كذا في «المغني» (١٣١/٨)، و«المهذب» (٥٨)، والقوانين الفقهية (٣٤)، و«نيل الأوطار» (٢٩١/١).

٧- ثم قال ابن هبيرة: «واختلفوا أيضًا: هل يكفر بتركها مع اعتقاد وجوبها ؟ فمنهم من قال: يكفر بمجرد تركها لظاهر الحديث: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»، ومنهم من قال: لا يحكم بكفره ويتأول الحديث على الاعتقاد- يعني الكفر بالاعتقاد واعتقاده صحيح، فلم يحكم بكفره، والحديث متاول على هذا. كذا في «المهذب» (٥٨/١)- وقال أحمد: من ترك الصلاة كسلاً وتهاونًا وهو غير جاحد لوجوبها فإنه يُقتل». اهـ.

قُلْتُ: وهذا على إطلاقه، أما عند التعيين فوجوب توفر الشروط وانتفاء الموانع كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

ألم يأن لتارك الصلاة أن يتوب ويرجع ولا يعرض نفسه للكفر المجمع عليه إذا كان جاحداً لوجوبها، ولا يعرض نفسه للكفر إذا كان معتقداً وجوبها أخذاً بظاهر الحديث ؛ ولا يعرض نفسه للحكم بقتله إجماعًا من الأئمة مالك والشافعي وأحمد مع اعتقاده لوجوبها كما بينا آنفا.

والله نسأل أن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ «المؤمنون: ١، ٢». ويجعلنا بفضله ممن قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ «المؤمنون: ٩- ١١».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

مـــن فتــاوى علمــاء الأزهــر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد كتب فضيلة الشيخ علي محفوظ رحمه الله فصلاً كاملاً عن بدع الموالد في كتابه الماتع «الإبداع في مضار الابتداع»، قال فيه:

«**الموالد:** هي الاجتماعات التي تُقام لتكريم الماضين من الأنبياء والأولياء، والأصل فيها أن يُتحرى الوقت الذي وُلد فيه مَن يُقصَد بعمل المولد، وقد يُتوسَّع فيها حتى تتكرَّر في العام الواحد. أوَّل مَن أحدَث الموالد:

أوَّل مَن أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد:

١- المولد النَّبوي.
٢- مولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
٣- مولد السيدة فاطمة الزهراء.
٤- مولد الحسن رضي الله عنه.
٥- مولد الحسين رضي الله عنه.
٦- مولد الخليفة الحاضر.

وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، ثُمَّ أُعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة (٥٢٤ هـ) بَعْد ما كاد النَّاس ينسونها».

ثُمَّ ذَكَر ما تشتمل عليه هذه الموالد من المفاسد المُحرَّمة والمكروهة، قائلًا:

«**فمن المفاسد المحرَّمة:**

- إضاعة الأموال بكثرة الوقود في المساجد، والطرق وإيقاد الشموع والمصابيح في الأضرحة، وكل ما يرجع إلى الإسراف والتبذير، وفي الحديث: «إنَّ الله كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وقَالَ، وإِضَاعَةَ المَالِ، وكَثْرَةَ السُّؤَالِ».

- ثم انتهاك حُرمة المساجد بتقذيرها وكثرة اللغط فيها، ودخول الأطفال حفاة أو بالنعال فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر في مسجد يعمل فيه مولد.

كذلك خروج النساء متبرجات مع اختلاطهنَّ بالرجال إلى حدٍّ لا يُؤْمَن معه وقوع الفاحشة، وناهيك عما يكون من البغايا، وطلبهنَّ الفاحشة جهارًا.

أيضًا سماع الأغاني وآلات الطَّرب على الوجه المُحرَّم بالإجماع، وغير ذلك مما يُفسد أخلاق الأمَّة، ويبعث في نفوس الشُّبان روح العشق والميل إلى الفجور.

قراءة القرآن على غير الوجه المشروع فيرجِّعون فيه كترجيع الغناء، غير مُراعين فيه ما يجب له من الآداب، والسُّنَّة في تلاوته أن تكون بخشوع... وبعض القراء يفتتح مجلس المولد بقراءة شيء من القرآن، ثم يشرع في قراءة قصة المولد النبوي قليلًا، ثُمَّ يأخذ في الغناء بقصائد الغزل، فترتفع أصوات السامعين بالاستحسان، وينقلب إلى مجلس لهو وعبث بكرامة المسجد، وكل ذلك- مع ما فيه من تعريضه للإهانة، وعدم الاحترام لكتاب الله تعالى- ضد ما وصف الله به المؤمنين عند سماع كلامه حيث قال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ «المائدة: ??»

ومما يُشعر بالاستهانة والاستخفاف بكتاب الله تعالى -وإن لم يقصد الفاعل ذلك- شُرب الدُّخان في مجلس القرآن الكريم خصوصًا إذا كان ممَّن يقرب منه حال القراءة والتشويش عليه، والإعراض عنه؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، والاستماع: الإصغاء، والإنصات: السُّكوت، فإنَّ ظاهر هذه الآية الكريمة يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها، وهو قول الحسن البصري وأهل الظاهر؛ تعظيمًا له واحترامًا، وبذلك يرجى الفوز بالرحمة.

قال العلامة الشَّبراوي في شرح الورد -نقلا عن شيخه السباعي-: «الذي نَدِينُ الله عليه حُرْمَة شرب الدُّخان في مجلس القرآن، ولا وجه للقول بالكراهة، وإذا كان الحديث الدنيوي في مجلس القرآن منهيًا عنه فشرب الدُّخان في مجلسه أولى بالنهي؛ لما فيه من الرائحة الكريهة، وإن كان شَاربوه لا يدركون ذلك للإلف والعادة، كالذين تعودوا معالجة المواد البُرازية لا يتألمون من رائحتها، وإذا كان العقلاء يرون من الآداب أن لا يُشْرَب الدُّخان بحضرة ملوك الدُّنيا وأمرائها، أفلا يرون ذلك مُخلا بالآداب في وقت مناجاة ملك الملوك بقراءة القرآن، وكم من شيء لا يمنع بغير حضرة الملوك ولكن يمنع بحضرتهم.

عمل المولد بدعة فاطمية

فعلى فرض أنَّ شُرب الدُّخان مكروه في غير مجلس القرآن، فهو في مجلس القرآن-لإخلاله بالآداب في حضرة كلام ذي العظمة والجبروت- مُحرم، ألا ترى أنَّ كثيرًا من الأشياء مُباح خارج الصَّلاة لكنَّه يَحرم في أثنائها وإن لم يبطلها، وما ذاك إلا لإخلاله بآداب الوقوف بين يدي الله تعالى» اهـ.

ولنضرب لذلك مثلًا يوضحه ويزيدك إيمانًا به: لو أنَّ ملكًا أصدر قانونًا يتضمن شيئًا من مصالح الرَّعية كنظام الضرائب، ومُناوبات الرَّي، وحفر الأنهار، وأمر عُمَّاله في الأقاليم أن يجمعوا العُمد والمشايخ وأرباب المصالح في البلاد ويقرءوا عليهم هذا القانون ويشددوا عليهم في تنفيذه واحترامه، فاجتمعوا وقام فيهم عُمَّال الملك يتلون عليهم هذا القانون كما أُمروا، وفي أثناء تلاوته رأى أحد العمال رجلين يتكلمان أو أحدًا يشرب الدُّخان في مجلس الاجتماع ماذا يكون الحال؟

أليْس يَغضب التالي للقانون من ذلك إن لم يعاقب بالطرد؛ لما في ذلك من انتهاك حرمة القانون وتاليه.

فإذا كان هذا في قانون الملك المخلوق، فما بالك بقانون ملك الملوك، الخالق القادر، ربَّ الأرباب ومالك العباد، وفيه من ضروب المصالح والفوائد ما يضمن لمن اهتدى بهديه سعادة الدُّنيا والآخرة.

- تَطَلُّب الرِّياء والسُّمْعَة بما ينفق في سبيل المولد، فترى الأغنياء يتنافسون في الليالي التي يحيونها بأسمائهم، وكلٌ يجتهد في أن تكون ليلته أحسن الليالي (ليُقال!!).
- إقامة حلقات الذِّكر المُحرَّف في المساجد أيام المولد مع ارتفاع أصوات المنشدين مع التصفيق الحاد من رئيس الذَّاكرين (بل الرَّاقصين) وقد يضربون على البازة أو السلامية أثناء الذِّكر، وفي المسجد، وكل ذلك غير مشروع بإجماع العلماء، ولم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا عهد الخلفاء ومَن بعدهم من الصحابة والتابعين ولا عهد الأئمة الأربعة المجتهدين-رضي الله عنهم أجمعين.

ومن المفاسد المكروهة:

- قراءة القرآن على قارعة الطريق وفي الحوانيت.
- التَّكلُّف الذي يقع منهم في الوفاء بشهواتهم.
- الإفراط في السُّهر الذي يترتب عليه تضييع الصلوات وضرر الأبدان.
- شَدّ الرِّحال إلى البقاع النائية وإهمال المزارع والصنائع والبيوت حتى تصير عرضة للتَّلف وسطو اللصوص... إلى غير ذلك مما لا يخفى على بصير.

ثم يقول: «بقي النَّظر في هذه الموالد التي تُقام في هذه الأزمان، ولا شُبهة أنَّها لا تخلو عن المُحرَّمات والمكروهات، وقد أصبحت مراتع الفسوق والفجور، وأسواقًا تباع فيها الأعراض، وتُنْتَهك محارم الله تعالى، وتُعطَّل فيها بيوت العبادة، فلا ريبة في حرمتها والمصلحة المقصودة منها لا تُبيح هذه المحظورات التي فيها، ويمكن تأديتها من غير هذا الوجه.

والقاعدة: أنَّ درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح، وأنَّ النَّبي ﷺ اكتفى من الخير بما تيسر، وفطَم عن جميع أنواع الشَّر حيثُ قال: «فإذا نَهَيْتُكُمْ عن شيء فاجتنبوهُ وإذا أمرتُكم بأمر فأتوا منهُ ما اسْتطعْتُمْ» فهو صريح في أنَّ الشر-وإن قلَّ- لا يُرَخَّص في شيء منه، والخير يُكْتَفَى منه بما تَيسَّر.

ولو لم يكن في الموالد الآن إلا اتخاذ قبور الأنبياء والأولياء عيدًا لكفى في المنع منها، فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا عليَّ أينما كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

ومعنى اتخاذه عيدًا أن يقصد بالتوجه إليه مرة بعد أخرى ويظهر عنده الفرح والسرور، وتقع عنده العبادة وذبح الذبائح وإطعام الطعام على نحو ما كان يفعله أهل الجاهلية عند الأوثان، والنهي عن اتخاذ البيوت قبورًا في معنى الأمر بتحرى النافلة في البيوت حتى لا تكون بمنزلة القبور والنهي عن تحري العبادة عند القبور، وأشار بقوله «فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم» إلى أن القرب من قبره والبعد عنه سواء، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا كما اتخذ المشركون من أهل الكتاب قبور أنبيائهم وصالحيهم عيدًا من أعيادهم التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد كان لهم أعيادٌ زمانية ومكانية أبطلها الله تعالى بالإسلام وعوَّض عن أعيادهم الزمانية عيد الفطر والنحر وأيام منى، وعن المكانية الكعبة البيت الحرام وعرفات ومنى والمشاعر، كما سبق ذلك في بدع المقابر والأضرحة» اهـ.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فتاوى المركز العام

الصلاة خلف الكهان

يسال: أحمد السيد ياسين- من كفر «أبو مباشر» شرقية:
عن حكم الصلاة خلف من يُعرف أنه يدعي علم المغيبات التي تقع في المستقبل؟

الجواب: كل من يدعي علم الغيب من العرافين والكهان ومن ينظر في النجوم أو يفتح كتابًا أو يخط في الرمل ومن يستخدم الجن ونحو ذلك من الأسباب غير العادية فهو مكذب صراحة لنص الكتاب العزيز الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ «النمل: ٦٥»، ويقول أيضًا: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ «الجن: ٢٦، ٢٧»، ومعلوم أن من كذّب القرآن أو أنكر آية من آياته فهو كافر بالله سبحانه وتعالى.

وقد بيّن النبي ﷺ أن «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة». «رواه مسلم في صحيحه».
كما بين أن «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد». «رواه أبو داود في سننه».

وقال ﷺ: «ليس منا من تطير أو تُطيرَ له، أو تكهن أو تُكهِّن له، أو سحر أو سُحِر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد». «رواه البزار بإسناد جيد».

وعلى هذا فمن علم حال هؤلاء لا يجوز أن يصلي وراءهم ولا تصح صلاته خلفهم.

الكعبة المشرفة

يسال: ص. ب. س من المحلة غربية يقول:
سالني أحد الناس من غير المسلمين عن أهمية الكعبة عند المسلمين ولماذا لا يصلون إلا إليها مع وجود آية في القرآن الكريم تقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾؟

الجواب: الكعبة المشرفة قبلة المسلمين في صلاتهم، يتوجهون إليها كل صلاة، فريضة كانت أو نافلة ؛ لقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ «البقرة: ١٤٤»، كما أن الكعبة يطوف المسلمون حولها في الحج والعمرة ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، وإذا كان الله تعالى أمر عباده الموحدين أن يصلوا إلى الكعبة فهو سبحانه لا يأمرهم إلا بما يعلمه مصلحة لهم، ولا ينهاهم إلا عما فيه مضرة عليهم، وتشريعات ربنا سبحانه وتعالى كلها لحكمة سواء علمناها أم لم نعلمها.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: ولما وقع هذا (أي تغيير القبلة) حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك وقالوا: ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أي قالوا: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا ؟ فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: الشأن كله في امتثال أوامر الله فحيثما وَجَّهنا تَوَجَّهْنا، فالطاعة في امتثال أمره ولو وَجَّهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة ؛ إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا قال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ا.هـ.

صبغ الشعر

يسال: محمد متولي أحمد- المنصورة- دقهلية:

يقول: بعض الناس من الرجال والنساء يستعملون أصباغًا يغيرون بها لون الشعر على رءوسهم إلى اللون الأسود أو الأحمر أو الذهبي، كما يستعملون بعض المواد التي تجعل الشعر ناعمًا بعد أن كان مجعدًا، فهل يجوز ذلك ؟

الجواب: تغيير الشعر بأصباغ بغير السواد لا حرج فيه، وكذلك استعمال أي مادة لتنعيم الشعر المجعد يستوي في ذلك الرجال الشباب والشيوخ، بشرط أن لا تكون المادة المستخدمة مضرة، وتكون طاهرة مباحة، وأما التغيير بالسواد فإنه ورد أن النبي ﷺ قال في والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «اذهبوا به إلى بعض نسائه فلتغيره بشيء وجنبوه السواد». مسلم.

وقد اختلف أهل العلم في حكم التغيير بالسواد، قال ابن حجر في الفتح: قد تقدمت في باب ذكر بني إسرائيل من أحاديث الأنبياء مسألة استثناء الخضب بالسواد لحديثي جابر وابن عباس، وأن من العلماء من رخص فيه في الجهاد، ومنهم من رخص فيه مطلقًا وأن الأولى كراهته، وجنح النووي إلى أنه كراهة تحريم، وقد رخص فيه طائفة من السلف منهم سعد بن أبي وقاص وعقبة بن عامر والحسن والحسين وجرير وغير واحد، واختاره ابن أبي عاصم في كتاب الخضاب له، وأجاب عن حديث ابن عباس رفعه «يكون قوم يخضبون بالسواد لا يجدون ريح الجنة» بأنه لا دلالة فيه على كراهة الخضاب بالسواد، بل فيه الأخبار عن قوم هذه صفتهم، ومن حديث جابر: «جنبوه السواد بأنه في حق من صار شيب رأسه مستبشعًا ولا يطرد ذلك في حق كل أحد». انتهى. «تحفة الأحوذي».

زكاة الحلي

يسال سائل: هل على الحلي زكاة ؟ وما مقدارها؟ وكيف يمكن تقدير نصاب الذهب في حالة كونه عيار ٢٤ أو ٢١ أو ١٨؟

الجواب: تجب زكاة الحلي بشروط: بلوغ النصاب الشرعي، وتكون ذمة مالكه خالية من الديون، ويحول عليه الحول بسنة قمرية، وذلك عند من أوجبوها، وتخرج قيمة الزكاة في حالة بلوغ المال النصاب وهو ما يعادل ٢٠ مثقالاً من الذهب الذي يبلغ ٨٥ جرامًا عيار ٢١، وإذا كان من يمتلك الذهب يملك أنواعًا مختلفة منها عيار ٢٤ أو ١٨ أو ٢٧، فإنه يُقوِّم ثمن ما عنده من أي نوع، ثم إذا ساوى ثمنه ثمن ٨٥ جرامًا من عيار ٢١ فأكثر فإنه يخرج عليه القيمة المستحقة شرعًا وهي ربع العشر، يعني من كل ألف جنيه أو ريال، أو دولار ٢٥ أي ٢,٥٪.

كفارة اليمين

يسال: محمد محمود خفاجي: العمرانية- جيزة:

إذا أقسمت على زوجتي ألا أفعل شيئًا معينًا ورأيت أن هناك مصلحة في فعله فماذا أفعل؟

الجواب: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير». «رواه مسلم». فعليك بإخراج الكفارة إذا كان في ذلك المصلحة والخير، والكفارة إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

ويسال: أيهما أفضل أن أُدفن في قريتي في مقابر غير شرعية، أم أدفن في مقابر شرعية لكنها بعيدة في الطريق بين ٦ أكتوبر والفيوم، مع العلم أني أسكن في العمرانية في الجيزة وقريتي في المنوفية ؟

الجواب: نقل الميت من الجهة التي مات فيها إلى غيرها قبل الدفن وبعده فيه تفصيل ؛ خلاصته أنه يجوز نقل الميت قبل الدفن وبعده من مكان إلى آخر بشروط ثلاثة:

أولها: أن لا ينفجر حال نقله. ثانيها: أن لا تهتك حرمته بأن ينقل على وجه يكون فيه تحقير له. ثالثها: أن يكون نقله لمصلحة كأن يخشى من طغيان البحر على قبره، أو يراد نقله إلى مكان له قيمة، أو إلى مكان قريب من أهله، أو لأجل زيارة أهله إياه، فإن فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة حرم النقل.

وعليه فلا مانع من نقل الميت إلى المقابر الشرعية، ولو كانت بعيدة عن بلده؛ لأنه من الأغراض الشرعية التي يُنقل بسببها الميت.

لحم الغنم التي رضعت من الكلاب

يسأل: السيد المسلمي - شبين القناطر - قليوبية يقول:

ما حكم الشرع في الغنم التي تربت في صغرها على الرضاعة من لبن الكلاب بسبب فقد أمها، أو لعدم وجود اللبن الكافي لها ؟ وهل يجوز الأكل من لحوم هذه الأغنام، وهل يجوز بيعها في الأسواق؟

والجواب: الجواب على هذا السؤال مبني على حكم نجاسة الكلب، وجمهور العلماء على أن الكلب نجس كله نجاسة أصلية، قال الشوكاني في نيل الأوطار (١/٨٥): واستدل بهذا الحديث: «إذا ولغ الكلب...» على نجاسة الكلب، لأنه إذا كان لعابه نجسًا وهو عرق فمه، ففمه نجس، ويستلزم نجاسة سائر بدنه، وذلك لأن لعابه جزء من فمه، وفمه أشرف ما فيه، فبقية بدنه أولى، وقد ذهب إلى هذا الجمهور.

وعلى هذا يكون لبن الكلاب أيضًا من نجاستها، ويصبح ما رضع من لبنها في حكم الجلالة وهي التي تأكل العذرة والنجاسات، وقد نهى النبي ﷺ عن أكل الجلالة وشرب ألبانها. «أخرجه أحمد وابن حبان وصححه ابن دقيق العيد».

وسواء في الجلالة البقر والغنم وغيرها كالدجاج والأوز وغيره.

فإذا تغير لحم هذه الأغنام بتغير طعامها بعد الرضاعة من الكلاب وصار طيبًا أُكل وإلا فلا، قال النووي في الروضة تبعًا للرافعي: إن تغير ريح مرقها أو لحمها أو طعمها أو لونها فهي جلالة، والنهي حقيقة في التحريم. اهـ.

فإذا عُرف أن لحمها يتغير إلى الأحسن بتغير الطعام فلا بأس في بيعها مع إظهار ما فيها من عيب، وإذا لم يمكن تغير اللحم وعُرف أنه يظل على فساد رائحته ونتنها فلا يجوز بيعها، والله أعلم.

على أصحاب المخابز أن يتقوا الله

ويسأل: عن صاحب مخبز يبيع الدقيق المدعم وأنا أنصحه فماذا أفعل لو رأيته يُخرج الدقيق خارج المخبز ؟

الجواب: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره...» مسلم وغيره.

فعليك بتغيير المنكر بإبلاغ الجهات المسئولة المختصة لحماية المال العام.

وعلى أصحاب المخابز أن يتقوا الله سبحانه وتعالى فيما تحت أيديهم من أموال المسلمين والفقراء، فإن الله تعالى يمهل ولا يهمل، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

حدث في مثل هذا الشهر

وفاة عبد الله بن عثمان بن عفان حفيد رسول الله ﷺ سنة ٤هـ

حدثني الحارث بن محمد قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما كان في الإسلام ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام فسماه عبدالله واكتنى به فكناه المسلمون أبا عبدالله فبلغ عبدالله ست سنين فنقره ديك على عينه فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته عثمان رضي الله عنه وقال هشام بن محمد كان يكنى أبا عمرو.

قال ابن جرير وفي جمادى الاولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه يعني من رقية بنت رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه، قلت وفيه توفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وأمه برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله.

[البداية والنهاية /٤ ٨٩].

قتل كسرى ملك الفرس سنة ٩هـ

قال ابن هشام فبلغني عن الزهري انه قال كتب كسرى إلى باذان إنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ فكتب إليه رسول الله ﷺ إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا، فلما أتى باذان الكتاب وقف لينتظر وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ، قال ابن هشام: على يدي ابنه شيرويه، قلت: وقال بعْضهم بنوه تمالئوا على قتله، وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباز وهو الذي غلبت الروم في قوله تعالى «الم غلبت الروم في أدنى الأرض» كما سيأتي بيانه، قال السهيلي: وكان قتله ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة، وكان - والله أعلم - لما كتب إليه رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فغضب ومزق كتابه كتب إلى نائبه باليمن يقول له ما قال وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ قال لرسول باذان إن ربي قد قتل الليلة ربك فكان كما قال رسول الله ﷺ قتل تلك الليلة بعينها، قتله بنوه لظلمه بعد عدله بعد ما خلعوه وولوا ابنه شيرويه فلم يعش بعد قتله أباه الا ستة أشهر أو دونها. [البداية والنهاية ٢/١٨٠].

البيعة لأمير المؤمنين معاوية سنة ٤١هـ

قال هشام بن محمد: بويع لمعاوية في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، فولي تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر إلا أياماً، ثم مات لهلال رجب من سنة ستين، واختلفوا في مدة عمره وكم عاش فقال بعضهم مات يوم مات وهو ابن خمس وسبعين سنة. [تاريخ الطبري/ ٣ ٢٦١].

حادثة خطيرة سنة ٤٦٠هـ

قال ابن الجوزي: في جمادى الأولى كانت زلزلة بارض فلسطين أهلكت بلد الرملة. ورمت شراريف من مسجد رسول الله ﷺ ولحقت وادي الصفر وخيبر وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر هذه الزلزلة وذكر فيه أنها خسفت الرملة جميعا حتى لم يسلم منها إلا داران فقط وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة، وانشقت صخرة بيت المقدس، ثم عادت فالتامت، وغار البحر مسيرة يوم وساخ في الأرض وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها ودخل الناس في أرضه يلتقطون فرجع عليهم فأهلك كثيرا منهم.

وقعة الرملة بين صلاح الدين والإفرنج سنة ٥٧٣هـ

قال عمر بن شاهنشاه بن أيوب: وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين وفي جمادى الأولى منها سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر قاصدا غزو الفرنج، فانتهى إلى بلاد الرملة، فسبى وغنم، ثم تشاغل جيشه بالغنائم وتفرقوا في القرى والمحال، وبقي هو في طائفة من الجيش منفردا فهجمت عليه الفرنج في جحفل من المقاتلة فما سلم إلا بعد جهد جهيد، ثم تراجع الجيش إليه واجتمعوا عليه بعد أيام ووقعت الأراجيف في الناس بسبب ذلك، وما صدق أهل مصر حتى نظروا إليه. [البداية والنهاية/ ١٢ ٢٩٧].

موقف اليهود والرافضة من مخالفيهم

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

إن من أوجه الشبه الواضحة بين اليهود والرافضة تكفيرهم لغيرهم واستباحة دمائهم وأموالهم، وفي هذا المقال نبين تلك العقيدة المنحرفة عند الفرقتين:

١- موقف اليهود من مخالفيهم

يقسم اليهود الناس إلى قسمين ؛ يهود، وأمميين، فكل من ليس بيهودي فهو أممي، والأمميون عند اليهود كفرة وثنيون، فقد جاء في التلمود: «كل الشعوب ما عدا اليهود وثنيون وتعاليم الحاخامات مطابقة لذلك». «الكنز المرصود ص١٠٠».

ولم يسلم من ذلك المعتقد المسيح عليه السلام، فقد وصفوه بالكفر والسحر والوثنية، فقد جاء في التلمود: «إن المسيح كان ساحراً ووثنياً لا يعرف الله عز وجل». «الكنز المرصود ص٩٩».

ويترتب على ذلك تكفير أتباع المسيح عليه السلام عند اليهود، وكذا النار عند اليهود وهي مصير كل من ليس على عقيدتهم من مسلمين ونصارى، وحول هذا المعنى جاء في التلمود: «النعيم ماوى أرواح اليهود، ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم: فماوى الكفار من المسيحيين والمسلمين ولا نصيب لهم فيها سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة». «إسرائيل والتلمود ص٦٧».

هذا عن نظرة اليهود لمخالفيهم في الآخرة، أما في الدنيا فغير اليهودي ليس له حرمة، فدماؤه وأمواله وأعراضه مباحة لليهودي، بل الأعجب من ذلك أن نصوص أسفارهم المقدسة تحث على قتل غير اليهودي واستباحة ماله وعرضه، فقد جاء في التلمود: «إن من يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس». «الكنز المرصود ص٦٨».

وإلى هذا المعتقد دعى كتاب التلمود، يقول ليماوند: «الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني، يحرم عليك أن تنقذه، وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، فإذا لم يفعل فإنه يخالف الشرع».

«الكنز المرصود ص٨٧».

وفي سفر الخروج: «أن الله أمر بني إسرائيل أن يلبسوا حلي المصريين قبل خروجهم من مصر».

«الإصحاح الثالث فقرة ٢١، ٢٢».

وسرقة مال غير اليهود مباحة، فإن الله قد سلط اليهود على باقي الأمم ودمائهم، فقد جاء في التلمود: «إن السرقة غير جائزة من اليهودي، أما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة».

«الكنز المرصود ص٧٣».

بل إن اليهودي مامور إذا وجد مال غير اليهودي ألا يرده، فإن رده إلى صاحبه يأثم ولا يغفر الله له أبداً. ففي التلمود: «ممنوع عليك رد ما فقده الغريب».

«همجية التعاليم الصهيونية ص٨٢».

وإن كان اليهود يحرمون الربا فيما بينهم، فإن غير اليهودي مصرح لليهودي أن يقرضه بالربا ؛ لأن ذلك من وسائل استرجاع أموال الأجانب التي هي ملك لهم- كما يزعمون-، فقد جاء في سفر التثنية: «ولا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا، للأجنبي قرض بربا ولكن أخاك لا تقرض بربا». «الإصحاح ٢٣، فقرة ١٩، ٢٠».

وفي التلمود: «إن السرقة غير جائزة من الإنسان- أي من اليهود- أما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة». «الكنز المرصود».

فاسترجاع الأموال بالربا والسرقة والغش مباح؛ لأن هذا المال في أصله حق لليهودي، وفي هذا أشار

القرآن الكريم إلى تلك العقيدة الفاسدة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ «آل عمران: ٧٥».

أما استباحة الأعراض فقد جاءت تعليمات الحاخامات ونصوص التلمود تبيح لليهودي أن يزني بغير اليهودية، فأعراض الآخرين ليس لها حرمة عند اليهود، وقد جاء في التلمود: «اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية ؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة والعقد لا يوجد بين البهائم».

«إسرائيل والتلمود ص٧٥».

وفي نص آخر: «إن الزنى بغير اليهود ذكورًا أم إناثًا لا عقاب عليه ؛ لأن الأجانب من نسل الحيوانات». «المرجع السابق ص٧٦».

ويزعم اليهود أن ما سواهم ينقسمون إلى شعوب سبعة طردهم الله من أمامهم وأمرهم بقتلهم، وهذه الشعوب السبعة هم من الحيثيين، والجرجاشيين، والأموريين، والكنعانيين، والغرزيين، والحويين، واليبوسيين، وحول هذا المعنى ورد في سفر الخروج التحذير من التزوج بإحدى نساء الشعوب السبعة. راجع الإصحاح (٣٤) فقرة (١١: ١٦)، وكذا في سفر التثنية: «لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم». «الإصحاح ٧ فقرة ٢، ٣».

من كل ما سبق يتبين لنا كيف أن اليهود يعتبرون من سواهم حيوانات. فالزنى والغش والغدر والسرقة إذا تعلق بغير اليهودي فمباح مأمور به، ومن أجل هذه الأخلاق الفاسدة حرفوا النصوص وتلاعبوا بمبادئ الشريعة، وهدموا مبادئ الأخلاق لخدمة نفوسهم المريضة وقلوبهم القاسية.

٢- موقف الرافضة من مخالفيهم:

وعلى نفس نهج اليهود سارت الرافضة، فهم يعتقدون أنهم المؤمنون فقط، ومن سواهم من المسلمين كفار مرتدون ؛ لأنهم لم يأتوا بالولاية التي هي ركن الإسلام الأعظم، الذي يقوم على كل أركان الإسلام، ويتصدرون بالولاية- ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة- ولا تتحقق الولاية عند الرافضة إلا بشيئين هما:

١- الغلو في الأئمة وإنزالهم منازل الربوبية.

٢- البراءة من غالب الصحابة، رضوان الله عليهم واعتقاد كفرهم، خاصة الخلفاء الراشدين.

وإذا ما خالف أحدُ الرافضة في هذا المعتقد القبيح فهو كافر مرتد يستباح دمه وماله، وقد ورد ذلك المعتقد في أهم كتبهم ومراجعهم، فعن علي بن الحسين أنه قال: «ليس على نظرة الإسلام غيرنا وغير شيعتنا وسائر الناس من ذلك براء». «الاختصاص ص١٠٧».

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما أحد على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منه براء». «المحاسن ص١٤٧».

أما الكليني في روضة الكافي فقد أورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لبعض أتباعه: «أما والله إنكم لعلى الحق، وأن من خالفكم لعلى غير الحق». (٨/١٤٥).

ويترتب على تكفير المسلمين عند الرافضة أنهم يعاملونهم معاملة المشركين، فهم لا يأكلون ذبائح المسلمين، ولا يجيزون نكاحهم ولا يساكنونهم ولا يصافحونهم، بل إن نكاح اليهودية والنصرانية أحب إليهم من نكاح الناصبية، وفي هذا المجال جاءت النصوص المتعددة، ففي فروع الكافي للكليني: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن نكاح الناصب، فقال: «لا والله لا يحل». (٥/٣٠٥).

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نكاح اليهودية والنصرانية أحب إليّ من نكاح الناصبية». (٥/٣٥١).

وكذا في الاستبصار عن فضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: «النواصب لا نأكل ذبيحتهم ولا نناكحهم ولا نسكن معهم». (٣/١٨٤).

وبهذا المعتقد صرح الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» (٢/٢٦٠).

وكذا فهم لا يجيزون الميراث للشيعي مع جواز العكس، أي يجوز للشيعي أن يرث السني، يقول الخميني: «والمسلمون يتوارثون وإن اختلفوا في المذاهب والأصول والعقائد فيرث المحق منهم المبطل وبالعكس، ومبطلهم من مبطلهم، فيرث المسلم منهم، وهم لا يرثون منه». (تحرير الوسيلة ٢/٣٣٣).

والصلاة خلف النواصب- أي السني- باطلة إلا إذا كانت للمداراة والتقية، فقد سُئل أبو جعفر عن مناكحة الناصب والصلاة خلفه، فقال: لا تناكحه ولا تصلِّ خلفه.

هذه هي نظرة الرافضة لكل الفرق الإسلامية، لا سيما أهل السنة الذين بالغ الرافضة في حقدهم وحسدهم حتى كفروهم وأخرجوهم عن الإسلام بالكلية مع معاملتهم معاملة الكفار والمشركين في عدم أكل ذبيحتهم وعدم مناكحتهم ولا توريثهم ولا الصلاة خلفهم كما بينت النصوص السابقة.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والله من وراء القصد.

الحياء الحياء الحياء

كيف نعيده لفلذات أكبادنا

إعداد: د/ **محمد عبدالعليم الدسوقي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تفشت في المدارس والمعاهد والجامعات المختلطة - وما أكثرها في بلدان المسلمين - أمراض خطيرة تكاد تعصف بالقيم والأخلاق، وعمت فيها بين أبنائنا وبناتنا أوبئة خبيثة توشك أن تدمر ما بقي من حميد الخلال، وكلها أمراض وأوبئة تمس الكرامة، وتخدش الحياء وتتعلق بالشرف والفضيلة، وتؤدي في النهاية إلى الفتك بالمجتمعات وضياع الأمم، ثم بعد كل ذلك إحلال غضب الله - عز وجل - الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

ويستشعر من يرى مظاهر السفور والاختلاط في معاقل العلم، أن العلم بعد أن افتقد عنصر الإخلاص وساءت الأخلاق، وراحت الخلال التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم أدراج الرياح، لم يعد يقصد لذاته، ولا على أنه من فرائض الإسلام العينية أو الكفائية، ولا لإزالة الجهل والجهالة، ولا لأنه يبتغي به وجه الله أو الأجر منه والثواب، ولم يعد المأرب من تقضية سنوات محسوبة من العمر سوى الحصول على شهادة تقول إن صاحبها أو صاحبتها يحمل مؤهلاً متوسطًا أو فوق المتوسط أو عاليًا، ولا عليهما بعد ذلك.

فالفتاة في زماننا وبدعوى تلقي العلم قد خرجت في أبهى زينة، يستشرفها شياطين الجن، ويهش لها ويبش شياطين الإنس، واجتهدت - إلا من رحم ربي - في أن تبدي زينتها، كما أنها لم تأل جهدًا في أن تخضع لأولئك الأصحاب وغيرهم من مرضى القلوب بالقول، وتحرص على أن تتزيا بالضيق من الثياب، أو الشفاف لما تحته، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد أحاط الله تعالى المجتمع المسلم بما يحفظه من الوقوع في الرذيلة فنهى عن:

١- الاقتراب من الزنى صراحة:

كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]، وذلك بتعاطي الأسباب المؤدية إليه، وإتيان الطرق الموصلة والموقعة فيه، والنَّظم الكريم فيه نهي بطريق ضمني عن كل ما سلف ذكره، وهو إنما جاء كذلك ولم يأت بالنهي المباشر، حتى يجعل بيننا وبين الوقوع في الفاحشة وأسبابها بُعد المشرقين، فهو نهي عنها بطريق أبلغ.

٢- التبرج وهو إظهار ما يجب إخفاؤه:

وقد نهى عنه قرآننا في نحو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٢٣]، موضحًا أن اتخاذ الملابس واتباع المنهج القويم هما أهم مظاهر المدنية والحضارة، وأبرز ما يميز بني آدم عن الحيوان وذلك قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، إذ التجرد منه أو التبذل فيه - على نحو ما هو حاصل الآن مما بدا معه حال بناتنا أكثر مما

كانت عليه الجاهلية الأولى - هو تقهقر إلى الوراء ورجعة إلى الجاهلية وانحطاط إلى درجة الحيوانية وعودة إلى التخلف والحياة البدائية، والقول بسوى أو بعكس هذا مخادعة ومغالطة.

٣- التعطر والترفل في ثياب الزينة:

ومن الأحاديث الناهية عن ذلك صراحة:

● ما أخرجه أحمد من حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية».

● وما أروده ابن خزيمة وأبو داود وابن ماجه من أن امرأة مرت بأبي هريرة رضي الله عنه وريحها تعصف فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار ؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيبت ؟ قالت: نعم، قال: فارجعي واغتسلي - يعني حتى تزول عنك رائحة الطيب التي لا تجوز إلا للزوج - فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل».

● وما ورد في سنن ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد، إذ دخلت امرأة ترفل - يعني تختال - في زينة لها في المسجد، فقال ﷺ «انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد».

وإذا كان هذا في حق الذهاب إلى مكان العبادة الذي هو بعيد عن كل شبهة وريبة، فلأن يكون في غيره من باب أولى، هذا إن لم نعد منارات العلم أماكن عبادة.

٤- النظرة الحرام:

فما من شك أن إطلاق البصر فيما حرم الله، يؤثر في النفوس أبلغ الأثر، إذ هي في الحرام سهم لا يخطئ من سهام إبليس، ومن هنا كان الأمر بغضّه لكل من الرجل والمرأة على حد سواء، في قول عالم السر وأخفى، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

فذلك إذن هو الأزكى للجميع والأبعد عن الافتتان والأحفظ للأعراض والأصون للنفوس.

٥- المصافحة بين الجنسين:

فإنها من الأمور التي حرمها الشرع وحذر منها ، كما جاء في صحيح الجامع من حديث معقل بن يسار: «لأن يوضع في رأس أحدكم مخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» (٥٠٤٥).

٦- الاختلاط:

وهو - سواء ما كان منه في مقرات الدراسة أو العمل أو غيرها - من أعظم الأسباب المؤدية لتقوية داعي الشهوة، وللخضوع المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، بل هو من أقوى دواعي الإغراء بالزنا الذي يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه وأخلاقه، ومن هنا حرمه الإسلام بالقرار في البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة، فإن دعت إليه ففي حدود ما أمر الله نبيه في نحو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

تقول الكاتبة الإنجليزية «اللادي كوك»: «على قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وها هنا البلاء العظيم على المرأة». إلى أن قالت: «علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد».

والحق ما شهد به الأعداء، ويا ليت ولاة امورنا يأخذون هذا الكلام بعين الاعتبار، ويعملون على الفصل بين الجنسين في مدارسنا وجامعاتنا، بعد أن استفحل الخطر وعم البلاء وعظم الخطب، ويكفي كي يدرك ولاة أمورنا حجم المأساة والكارثة أن يعرفوا - وهم بالطبع عارفون - أن هناك في مصر وحدها بلد الأزهر وحسب أخر الإحصائيات، أكثر من ١٢ ألف قضية إثبات

نسب - من جراء المتعة الحرام والزواج العرفي الناتج عن الاختلاط - مرفوعة أمام المحاكم، وأن ثمة أكثر من مليوني حالة زواج عرفي طالت حتى مراحل التعليم الإعدادي والثانوي.

وإلى الله وحده المشتكى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٧- الخلوة:

وتلك هي قمة التبذل، إذ كيف يسمح الفتى والفتاة لنفسيهما بفعل ذلك مع حديث النبي ﷺ الذي يعرفه العامة قبل الخاصة: «ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما»؟ وهل ينتظر للنفس الأمارة بالسوء والمتتبعة لخطوات الشيطان، إلا الوقوع بعد حين في الرذيلة، وإلا في اجتناء ما لا يحمد عقباه؟

طوق النجاة... وطريق الخلاص

أ- إن اضطلاع الأسرة ولا سيما الأب والأم وولاة الأمور، وأخص بالذكر منهم نظار المدارس وعمداء الكليات والأساتذة ومديري سائر الأعمال، بدورهم في التوعية، وتفعيل لغة الحوار فيما بينهم وبين أبنائهم ومن وُلوا أمرهم لحثهم على التخلق بالأخلاق الحميدة، والالتزام بمنهج الله وإقناعهم بأن فيه الفلاح والنجاح والفوز بسعادة الدارين، ونبذ فكرة صديق العائلة، والتخلص منها والاعتياض عنها بما هو مشروع، وإفهامهم بأن ما لا يرضونه لأنفسهم لا يرضاه الناس كذلك، وأن هذا الهذيان، التفكير في حلاله سابق لأوانه فما بالك بحرامه؟ وأنه - على حد ما ذكر ابن القيم في الجزء الثالث من زاد المعاد - إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله المعرضة عنه المتعوضة بغيره، وبأن المرء ما خلق لهذا العبث، وإنما وجد ليجدَّ في إزالة ما به من جهل، وليكدح في طلب رضا الله وعمارة الكون بذكره وعبادته، وليعلم أنه ملاق ربه فمحاسبه عما قدم وأخر وعن عمره وشبابه بخاصة.

ب- وإن تفويت الفرصة على أعدائنا الذين يستخدمون في إضعاف أمتنا سلاح المرأة بعد أن فشل غزوهم العسكري والفكري، ويسعون بكل ما أوتوا من قوة إلى إيقاع أولادنا في شراك النزوات والمتعة الحرام، حتى يقتلوا فيهم النخوة ووازع الدين وتشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويعم الفساد، على نحو ما تفعله الأمم المتحدة كل عام بتحريش من اليهود والغرب، من عقد مؤتمرات السكان هنا وهناك بغرض إباحة الجنس، ومن رصد أموال طائلة على غرار ما حدث في الآونة الأخيرة حين رصدت ما يقدر بثمانية مليارات في مصر على سبيل المثال تحت مسمى «ميثاق الحرية للرجل والمرأة» لدعم الإباحية والترويج لها... إلخ.

جـ- وإن مجاهدة النفس وصيانتها وكبح جماحها وتربيتها على قمع الشهوات، والترفع بها عن فعل ما تعاب به عليها والتفكير الملي في عواقب الأمور، وكذا تحذيرها من مغبة الوقوع فيما سبق من البنود المخالفة لمنهج خالق النفس وملهمها تقواها، وأيضًا التزام الحشمة والتستر وفعال الخير التي منها الإكثار من الصيام، والبعد عن مواطن الشبه وعن صحف وإعلام الإثارة وتحقير كل ما يتصل بذلك، واستبدال قرآن الرحمن بمزمار الشيطان وسائر ما يلهي عن طريق الجنة، واختيار الصحبة المعينة على الطاعة والداعية إلى الفضيلة، والتماس القدوة فيمن كان أشد حياء من العذراء في خدرها - ﷺ -، وصحابته الكرام الذين كان الواحد منهم يستحيي من نفسه، حتى لكأن له - على حد قول ابن القيم في مدارج السالكين - نفسين يستحي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر.

نسأل الله تعالى أن يهدي أبناء المسلمين، وأن يجنبهم الفاحشة ما ظهر منه وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

الشيخ
محمد نسيب الرفاعي

اسمه: محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي أبو غزوان.

مولده: ولد بحلب عام ١٣٢٢هـ- ١٩١٢م من أسرة الرفاعي.

تعليمه: تعلم في مدينة حلب، وقد تتلمذ على علمائها وعلماء دمشق من أمثال الشيخ الطباخ، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ ناصر الدين الألباني.

ولما كان الشيخ البيطار من دعاة السلفية في الشام فقد تأثر به الرفاعي وصار بعد ذلك رئيسًا لأنصار السنة في الشام، وقد زار دار أنصار السنة المحمدية في القاهرة.

عمل مراقبًا ومدرسًا في الكلية الإسلامية، ودار الأيتام الإسلامية بحلب، ولما كانت سوريا قد صارت تحت الاحتلال الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى فقد كان لمحمد نسيب الرفاعي دور كبير في مجاهدة الاحتلال الفرنسي شأنه في ذلك شأن الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي الذي حارب فرنسا وأسبانيا وفضحهم في الإذاعة الألمانية.

ولما كان الشيخ شاعرًا فقد استعمل سلاح الشعر في إلهاب حماس الجماهير الأمر الذي أفضى به إلى السجن، في معتقل يقع بجنوب صيدا.

كان الشيخ محمد نسيب الرفاعي مفسرًا وفقيهًا ومطبوعًا على الشعر وكان من أسرة ينتهي نسبها إلى العترة النبوية.

وقد منَّ الله عليه بترك التصوف إلى السلفية فأنكر التقليد وأنكر أن يكون النسب بذاته سببًا في شرف الرجل في الدنيا ونجاته في الآخرة فكتب شعرًا يقول فيه:

وليست النسبة العليا مشرفة
يزِنها الفتى بالدين والأدب
«سلمان» مثواه جنات مخلدة
والنار جعلت مثوى «أبي لهب»
والدين والنسب الأسمى إذا اجتمعا
فاز الفتى بكريم الدين والنسب

ولقد تعرف الشيخ الرفاعي على الدعوة السلفية من الشيخ مصطفى السباعي ومن الأديب عمر بن النصر الذي كان لديه بعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ترك الطريقة الرفاعية وأصبح سلفيًا، شأنه في ذلك شأن عالم المغرب تقي الدين الهلالي الذي كان تيجانيًا فلما هداه الله تحول من تيجاني إلى سلفي.

وحتى تتضح لنا الصورة الدينية التي كانت سائدة في بلاد الشام زمن الشيخ البيطار والرفاعي علينا أن نذكر ما كتبه الشيخ علي طنطاوي قال: «وكان اتصالي بالشيخ بهجة (وهو شيخ الرفاعي) قد سبب لي أزمة مع مشايخي، لأن أكثر مشايخ الشام ممن يميلون

«من صوفي إلى سلفي»

إعداد/ فتحي عثمان

إلى الصوفية، وينفرون من الوهابية وهم لا يعرفونها ولا يدرون أنه ليس في الدنيا مذهب اسمه الوهابية، وكان عندنا جماعة من المشايخ يوصفون بأنهم من الوهابيين على رأسهم بهجة البيطار».

-لما أفرج عن الشيخ الرفاعي وكان قد تعرف على كتب ابن تيمية وترك التصوف أسس جمعية الدعوة السلفية للصراط المستقيم في حلب.

ثم ترك سوريا إلى لبنان عام ١٩٧٢م وقام بالدعوة إلى الله ونشر الكتب مع الشيخ زهير الشاويش- أطال الله عمره- والأستاذ سعيد المعيار.

كانت له صلة بأنصار السنة المحمدية في مصر زمن رئاسة الشيخ عبد الرحمن الوكيل كما كان معاصراً للشيخ عبد الرزاق عفيفي. ومن أئمة الدعوة في السعودية: الشيخ ابن باز، والشيخ ابن حميد، والشيخ عبد الله الخياط، وكثير من سلفيي الدعوة في البلاد الإسلامية.

وفاته:

توفي- رحمه الله- في الأردن عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م بعد أن ضعف بصره في أواخر أيامه وكانت إقامته بالأردن منذ عام ١٩٧٦م رحمه الله رحمة واسعة.

إنتاجه العلمي:

- التفسير الواضح.
- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير.
- التوصل إلى حقيقة التوسل.
- نقد قصيدة البردة للبوصيري.
- بلوغ المعنى في إثبات عصمة نساء النبي صلى الله عليه وسلم من الزنا (مخطوط).
- المختارات الوطنية (شعر).
- الباقيات الصالحات في شرح الأسماء الحسنى.
- بدعة تحديد النسل.
- مجموعة رسائل.
- ديوان الرفاعي.

مصادر الترجمة:

- من ترجمة لم يتمها الشيخ زهير الشاويش في جريدة الدستور جمادى الآخرة عام ١٤١٢هـ.
- ومن مقال للمؤلف في جريدة اللواء ٢٧/١١/١٩٩٣م.
- الأستاذ حسان عبد المنان في مقدمة رسائل للرفاعي.

تغمده الله برحمته الواسعة وجعله مع أكابر دعاة السلفية والموحدين في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه

سَتْرُ عَوْرَاتِ المسلمين

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله وحده، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإن من الصفات الحميدة والتي ضيَّعها الكثيرُ من المسلمين- إلا من رحم الله- سترَ عَوْرَات الناس والأخذ بأيدي هؤلاء الذين يعملون السيئات إلى الله تعالى، ليتوبوا من قريب بدلاً من هتك عوراتهم وكشف عيوبهم وإعانة الشيطان عليهم، ولذا نقول وبالله التوفيق:

واجب العاصي نحو نفسه

يجب على كل مسلم أن يتقي الله في نفسه وفي أهل بيته، وفي أمواله وفي الناس جميعًا، وأن يتجنب معصيته، فإذا تغلب عليه شيطانه وأوقعه في معصية وجب عليه أن يستر نفسه بستر الله ولا يفضح نفسه بين الناس، وأن يتوب إلى الله من قريب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجلُ بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه». [البخاري ٦٠٦٩، ومسلم ٢٩٩٠].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني عاجلت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها دون أن أمسّها، فأنا هذا، فاقض فيّ ما شئت. فقال عمر بن الخطاب: لقد سترك الله، لو سترت نفسك. فأتْبعهُ النبي ﷺ رجلاً دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. فقال رجل من القوم: يا نبي الله، هذا له خاصة، قال: «بل للناس كافة». [البخاري ٤٦٨٧، ومسلم ٦٨٦٣].

خطورة الجهر بالمعاصي

قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله ﷺ وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، في الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذل أهلها، من إقامة الحد عليهم إن كان فيه حد، ومن التعزيز إن لم يُوجب حدًا وإذا تمحص حق الله، فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة والذي يجاهر يفوته ذلك.

[فتح الباري ١٠/٥٠٣].

الله يحب ستر عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

قال الضحاك بن مزاحم: أما الظاهرة فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة فما ستر من العيوب. [الدر المنثور ٦/٥٢٦].

الستير من صفات الله تعالى

عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبَراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله عز وجل حيي ستِّير، يحب الحياء والسَّتر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر». [صحيح أبي داود ٣٣٨٧].

قال ابن الأثير: ستّير: فعيل بمعنى فاعل: أي من شأنه وإرادته حبُّ الستر والصون. [النهاية ٢/٣٤١].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يُدْني المؤمن، فيضع عليه كَنَفَهُ (ستره وعفوه) ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، فيقول: نعم أي ربِّ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين».

[البخاري ٢٤٤١، ومسلم ٢٧٦٨].

النبي ﷺ يأمرنا بالستر على العصاة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة». [مسلم ٧٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

[البخاري ٢٤٤٢، ومسلم ٢٥٨٠].

وعن أبي بَرْزة الأسلمي أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبعُ الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته». [صحيح أبي داود ٤٠٨٣].

وعن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ قال: «إنك إن اتّبعت عوْرات الناس أفسدتَهم أو كدت أن تفسدهم».

فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها.

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابةٌ (جماعة) من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجُلكُم ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأمره إلى الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك». [البخاري ١٨، ومسلم ١٧٩].

أقسام الناس في المعاصي

إن الناس في ارتكاب المعاصي على قسمين:

القسم الأول: منْ كان مستورًا، لا يُعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فإنه لا يجوز كشفها ولا هتكها ولا التحدث بها لأن ذلك غيبة محرمة وهذا هو الذي وردت فيه النصوص وفي ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

ومثل هذا الصنف من الناس لو جاء نادمًا تائبًا وأقر بحد ولم يفسره، لم يُستفسر، بل يؤمن بأن يرجع ويستر نفسه كما لم يستفسر النبي ﷺ الصحابي الذي قال له: أصبت حدًا فأقمه عليّ، ومثل هذا لو أخذ بجريمته ولم يَبلغ الإمام. [جامع العلوم والحكم ٣/١٠١١، ١٠١٢].

القسم الثاني: من كان مشتهرًا بالمعاصي، معلنًا بها ولا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له، فهذا هو الفاجر المعلن، ليس له غيبة كما نص على ذلك الحسن البصري.

ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود، ومثل هذا لا يُشفع له إذا أُخذ ولم يَبْلغ السلطان، بل يُترك حتى يقام عليه الحد لينكشف شره ويرتدع به أمثاله.

قال الإمام مالك بن أنس: من لم يُعرفْ منه أذى للناس وإنما كانت منه زلة، فلا بأس أن يشفع له ما لم يَبْلغْ الإمام، وأما من عُرف بشر أو فساد فلا أحبُّ أن يشفع له أحد ولكن يُترك حتى يُقام عليه الحد. [جامع العلوم والحكم ٣/١٠١٢، ١٠١٣].

فائدة هامة: قال ابن حجر: ذكر النووي أن من جاهر بفسقه أو بدعته، جاز ذكره بما جاهر به دون ما لم يجاهر به. [فتح الباري ١٠/٥٠٢].

النبي ﷺ وستر عورات العصاة

كان رسول الله ﷺ إذا أخطأ أحد من الصحابة أو وقعت منه زلة لا يفضحه أمام الناس، ولكنه يجمع الناس ليحذرهم الوقوع في نفس الخطأ، فيقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» دون أن يصرح بأسمائهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «لينتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم». [البخاري ٧٥٠].

وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يُقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهْدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بالُ العامل نبعثه فياتي فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أهدي له أم لا». [البخاري ١٧٧٤، ومسلم ١٨٣٢].

أمثلة لستر عورات العصاة

١- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه. [مصنف عبد الرزاق١٠/٢٢٧].

٢- عمار بن ياسر رضي الله عنه: يأخذ سارقًا، ثم يَدَعَهُ ويقول: استره لعل الله يسترني.
[مصنف عبد الرزاق١٠/٢٢٦].

٣- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: يلقى سارقًا فيزوده ويرسله. [مصنف عبد الرزاق ١٠/٢٢٦].

٤- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أشرف على داره بالكوفة، فإذا هي قد غصت بالناس، فقال: من جاء يستفتينا فليجلس نفتيه إن شاء الله، ومن جاء يخاصم فليقعد حتى نقضي بينه وبين خصمه إن شاء الله، ومن جاء يريد أن يطلعنا على عورة قد سترها الله عليه، فليستتر بستر الله وليقبل عافيته وليُسرر توبته إلى الذي يملك مغفرتها فإنا لا نملك مغفرتها ولكن نقيم عليه حدها ونمسك عليه بعارها.
[مصنف عبد الرزاق١٠/٢٣٠].

٥- أنس بن مالك رضي الله عنه: عن صالح بن كرز أنه جاء بجارية له زنت إلى الحكم بن أيوب قال: فبينا أنا جالس إذ جاء أنس بن مالك، فجلس فقال: يا صالح، ما هذه الجارية التي معك ؟ قلت: جارية لي بغت فأردت أن أرفعها إلى الإمام ليقيم عليها الحدَّ. فقال: لا تفعل، ردَّ جاريتك واتقِ الله واستر عليها. قلت: ما أنا بفاعل. قال: لا تفعل وأطعني فلم يزل يراجعني حتى رددتُها. [مصنف عبد الرزاق ٧/٣٩٨].

٦- قال مِسْعَرُ بن كدام: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع. [بهجة المجالس لابن عبد البر ١/٤٧].

٧- قال بعض السلف: أدركت أقوامًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس عيوبًا لهم، وأدركت أقوامًا كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس ونُسيت عُيُوبُهم. [جامع العلوم والحكم ٣/١٠١١].

٨- قال الوزير الصالح لأحد الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام وأولى الأمور ستر العيوب.
[جامع العلوم والحكم ٣/١٠١٢].

٩- روى وكيع بن الجراح بسنده أن شُرحبيل بن السِّمْط كان على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضًا فيها نساءً وشراب، فمن أصاب منكم حدًا فلياتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب إليه: «لا أم لك تامر قومًا ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم». [الزهد لوكيع ٢/٧٧٤].

١٠- قال عوف الأحمسي: كان يُقال: من سمع بفاحشة فأفشاها كان فيها كالذي بدأها.
الزهد لوكيع ٢/٧٦٨].

ستر عيوب العلماء وولاة الأمور

إذا كان الواجب عليه ستر عيوب عامة الناس الذين لا يجاهرون بالمعاصي، فإن العلماء وولاة الأمور أولى الناس بستر العيوب ؛ لأن كشف عوراتهم يزيل هيبتهم من صدور الناس فيحدث في الناس والبلاد من الفساد ما لا تحمد عقباه، فالناس لا يقبلون من أهل العلم فتوى ولا نصيحة.

روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود». [صحيح أبي داود ٣٦٧٩].

معنى الحديث: أي اعفوا عن أصحاب المروءات والخصال الحميدة وذي الوجوه من الناس الذين لا يجاهرون بالمعاصي ولكن تقع منهم بعض الزلات. [عون المعبود ١٢/٢٥].

نصيحة العلماء وولاة الأمور تكون سرا

عن عياض بن غَنْم أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يُبْد له علانية، ولكن لياخذ بيده فيخلو به، فإذا قبل منه فذاك، وإلا قد أدى الذي عليه له». [حديث حسن لغيره: مسند أحمد ٢٤/٤٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بادر .. أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية :

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.
- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجميع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٦ سنة من المجلة.
- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد .. .. نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

دجالون كذابون

نحن بانتظاركم

يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي
على بنك فيصل الإسلامي
فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد

الآن بمقر مجلة التوحيد

المجلد الجديد لعام ١٤٢٨هـ

سارع بطلب نسختك وحجزها قبل نفاد الكمية

مفاجأة

... لا تحرم
مكتبتك وبيتك
وأولادك من هذا
العلم النافع

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
١٤٢٨
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

اهدِ نسخة لمسجدك - ونسخة لمكتبتك العامة

- علم نافع وصدقة جارية لا تُفوِّت الفرصة

كرتونة المجلدات أُضيف إليها ذخرٌ جديد

فأصبحت ٣٦ مجلدًا - أقبل على الخير